المـمـلكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعـة الملك فيصـل

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

العرفانية في الأدب بين النظرية والإجراء

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

(تخصّص: أدب ونقد)

إعداد الطالب

راشد خليفة راشد الرحيمان

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

المـمـلكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعـة الملك فيصـل

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

العرفانية في الأدب بين النظرية والإجراء

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

(تخصّص: أدب ونقد)

إعداد الطالب: راشد خليفة راشد الرحيمان

إشراف: د. عبد القادر محمد الحسّون

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك فيصل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

المـمـلكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعـة الملك فيصـل

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

العرفانية في الأدب بين النظرية والإجراء

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

(تخصّص: أدب ونقد)

إعداد الطالب

راشد خليفة راشد الرحيمان

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

المـمـلكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعـة الملك فيصـل

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

العرفانية في الأدب بين النظرية والإجراء

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

(تخصّص: أدب ونقد)

إعداد الطالب: راشد خليفة راشد الرحيمان

إشراف: د. عبد القادر محمد الحسّون

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك فيصل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

إهداء وشكر

أهدي هذا العمل

- **إلى أبي رحمه الله**

  وأمّي أطال الله عمرها

- **وإلى روح الأستاذ الفاضل محمد العربي الجلاصي رحمه الله**

  كان وراء هذا العمل في بداياته ورحل قبل نهاياته.

- **إلى زوجتي الغالية التي تحملت انشغالي في هذا العمل وسهرت ودعمتني إلى انجاز هذا العمل.**

- **إلى الأخ والصديق الأستاذ عبدالله المليلي الذي ساعدني بتوجيهاته لإتمام هذا العمل منذ بدايته حتى نهايته.**

- **والشكر الوافر للدكتور عبدالقادر الحسون الذي أشرف على هذا العمل بتوجيهاته ودعمه ووقته فله صادق الود والدعاء.**

"علم العرفنة حقل جديد يجمع ما يعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس واللسانيات والأنثروبولوجيا والحاسوبية. وهو ينشد أجوبة مفصّلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل؟ كيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هو النظام المفهومي وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النظام المفهومي نفسه؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النظام؟ وإن لم يكن كذلك ما هو بالتحديد ذاك الشيء بين البشر جميعهم في ما به يفكّرون؟ "

-لايكوف -

ملخّص

يتنزّل البحث في موضوع " العرفانية في الأدب بين النظرية والإجراء" ضمن دراسات نقد النقد المهتمّة بالتطبيقات اللسانية في مجال الدراسات الأدبية، وينطلق من ملاحظة ظهور أعمال نقدية تعتمد على تصوّرات وآليات مستحدثة مستمدّة من اللسانيات العرفانية لقراءة نصوص أدبية مختلفة. والهدف من دراسة الموضوع التعريف بهذا التيار النقدي اللساني واستجلاء إضافاته في قراءة النصوص الأدبية.

وتتوزّع دراستنا للمسألة على قسمين متكاملين:

-قسم نظري مخصّص لتقديم التيار العرفاني من حيث سياقه المعرفي وعلاقته بالتيارات اللسانية الأخرى، ومن جهة مفاهيمه ومصطلحاته، ومن ناحية نظرته إلى النصّ الأدبي.

-قسم تطبيقي ندرس فيه نماذج اخترناها من كتابات الأزهر الزناد حلّل فيها نصوصا مختلفة في ضوء مقولات عرفانية مثل المعرفة الموسوعية والاستعارة المفهومية ونظرية الأفضية الذهنية.

ويحاول البحث بالاعتماد على الجانبين النظري والتطبيقي أن يستجلي أهمّ النتائج التي يمكن أن تسهم في التعريف بالتيار التداولي العرفاني وتبيّن إضافاته وحدوده في مجال النقد الأدبي.

كلمات مفتاحية: التداولية، العرفانية، الأدب، الزناد، المعرفة الموسوعية، الاستعارة المفهومية، نظرية الأفضية الذهنية.

Abstract

The research deals with the " Cognitivism in the literature, between theory and procedure" within the criticism studies of criticism that deals with the linguistic applications in literary studies. The study stems from the observation of the emergence of some works in criticism based on innovative concepts and mechanisms derived from the linguistic cognition to read different literary texts. The objective of the study is to introduce this critical trend & linguistic, and to explore its additions in the reading of literary texts.

The study is divided into two parts:

- A theoretical part to present the Cognitivism in terms of its cognition context and its relation to other linguistic trends, its concepts and terms and its perspective on the literary text.
- An applied part to study some models chosen from the writings of Al-Azhar Az-Zennad in which he analyzed various texts in the light of a cognitional trends, such as encyclopedic knowledge, conceptual metaphor and the theory of mental spaces.

Through the theoretical and practical aspects, the study tries to clarify the most important results that can contribute to the definition of the Pragmatic Cognitivism, and to show its additions and limits in the field of literary criticism.

Keywords: Pragmatic, Cognitivism, literature, Az-Zennad, Encyclopedic Knowledge, Conceptual Metaphors, Theory of Mental Spaces.

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
King Faisal University
Deanship of Graduate Studies

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
عمادة الدراسات العليا

عنوان الرسالة

العرفانية في الأدب
بين النظرية والإجراء

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٣ / ٨ / ١٤٣٩ هـ الموافق ١٥ / ٤ / ٢٠١٨ م.

أعضاء لجنة الحكم والمناقشة

م	الاســـــم	الصفة	التوقيع
١	د. عبد القادر محمد الحسون	مشرفًا ومقررا	
٢	أ.د. عامر مختار الحلواني	ممتحنًا داخلياً	
٣	د. يسن ابراهيم البشير	ممتحنًا داخليا	

رئيس القسم	عميد الكلية
الاســـم: د. عبد الله الحقباني	الاســـم: أ.د/ ظافرين عبد الله الشهري
التوقيع:	التوقيع:

جامعة الملك فيصل
كلية الآداب
الأحساء - AL-HASSA
COLLEGE OF ARTS
King Faisal University

السيرة الذاتية . C.V

الاسم: راشد بن خليفة بن راشد الرحيمان

محل الميلاد: المملكة العربية السعودية – الأحساء

الجنسية: سعودي

الحالة الاجتماعية: متزوج

جوال: ٠٥٠٣٩٢١٢٩٢

البريد الإلكتروني: ralreheman@hotmail.com

المؤهلات العلمية:

بكالوريوس في اللغة العربية – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٨هجري .المملكة العربية السعودية.

العمل الحالي: معلم بمدارس التعليم العام (مدرسة جبل النور المتوسطة).

إهداء وشكر

أهدي هذا العمل

- **إلى أبي رحمه الله**

  وأمّي أطال الله عمرها

- **وإلى روح الأستاذ الفاضل محمد العربي الجلاصي رحمه الله**

  كان وراء هذا العمل في بداياته ورحل قبل نهاياته.

- **إلى زوجتي الغالية التي تحملت انشغالي في هذا العمل وسهرت ودعمتني إلى انجاز هذا العمل.**

- **إلى الأخ والصديق الأستاذ عبدالله المليلي الذي ساعدني بتوجيهاته لإتمام هذا العمل منذ بدايته حتى نهايته.**

- **والشكر الوافر للدكتور عبدالقادر الحسون الذي أشرف على هذا العمل بتوجيهاته ودعمه ووقته فله صادق الود والدعاء.**

ملخّص

يتنزّل البحث في موضوع " العرفانية في الأدب بين النظرية والإجراء" ضمن دراسات نقد النقد المهتمّة بالتطبيقات اللسانية في مجال الدراسات الأدبية، وينطلق من ملاحظة ظهور أعمال نقدية تعتمد على تصوّرات وآليات مستحدثة مستمدّة من اللسانيات العرفانية لقراءة نصوص أدبية مختلفة. والهدف من دراسة الموضوع التعريف بهذا التيار النقدي اللساني واستجلاء إضافاته في قراءة النصوص الأدبية.

وتتوزّع دراستنا للمسألة على قسمين متكاملين:

-قسم نظري مخصّص لتقديم التيار العرفاني من حيث سياقه المعرفي وعلاقته بالتيارات اللسانية الأخرى، ومن جهة مفاهيمه ومصطلحاته، ومن ناحية نظرته إلى النصّ الأدبي.

-قسم تطبيقي ندرس فيه نماذج اخترناها من كتابات الأزهر الزناد حلّل فيها نصوصا مختلفة في ضوء مقولات عرفانية مثل المعرفة الموسوعية والاستعارة المفهومية ونظرية الأفضية الذهنية.

ويحاول البحث بالاعتماد على الجانبين النظري والتطبيقي أن يستجلي أهمّ النتائج التي يمكن أن تسهم في التعريف بالتيار التداولي العرفاني وتبيّن إضافاته وحدوده في مجال النقد الأدبي.

كلمات مفتاحية: التداولية، العرفانية، الأدب، الزناد، المعرفة الموسوعية، الاستعارة المفهومية، نظرية الأفضية الذهنية.

Abstract

The research deals with the " Cognitivism in the literature, between theory and procedure" within the criticism studies of criticism that deals with the linguistic applications in literary studies. The study stems from the observation of the emergence of some works in criticism based on innovative concepts and mechanisms derived from the linguistic cognition to read different literary texts. The objective of the study is to introduce this critical trend & linguistic, and to explore its additions in the reading of literary texts.

The study is divided into two parts:

- A theoretical part to present the Cognitivism in terms of its cognition context and its relation to other linguistic trends, its concepts and terms and its perspective on the literary text.
- An applied part to study some models chosen from the writings of Al-Azhar Az-Zennad in which he analyzed various texts in the light of a cognitional trends, such as encyclopedic knowledge, conceptual metaphor and the theory of mental spaces.

Through the theoretical and practical aspects, the study tries to clarify the most important results that can contribute to the definition of the Pragmatic Cognitivism, and to show its additions and limits in the field of literary criticism.

Keywords: Pragmatic, Cognitivism, literature, Az-Zennad, Encyclopedic Knowledge, Conceptual Metaphors, Theory of Mental Spaces.

فهرس المحتوى

مقدمة.....١

القسم النظري: العرفانية بين اللسانيات والأدب.....١٢

تمهيد.....١٣

الفصل الأول: من اللسانيات البنيوية إلى اللسانيات العرفانية.....١٥

١- اللسانيات.....١٨

٢- علم الدلالة.....٢٢

٣- السيميائية.....٢٥

٤- التداولية.....٣٢

٥- العرفانية.....٣٧

خلاصة.....٣٩

الفصل الثاني: المصطلحات والمفاهيم.....٤٠

تمهيد.....٤١

أ- مصطلحات لسانية.....٤٢

١- النظام.....٤٢

٢- البنية والشكل.....٤٣

ب- مصطلحات تداولية.....٤٥

١- المقام ٤٥

٢- المتكلم.....٤٩

٣- السامع.....٥٠

ج-مصطلحات عرفانية.....٥٢

١- المفهمة.....٥٢

٢- التصوّر.....٥٣

٣- الإطار.....٥٤

خلاصة.....٥٥

الفصل الثالث: أسس المقاربة العرفانية للنص الأدبي.....٥٦

تمهيد.....٥٧

أ- التصورات العرفانية حول الأدب.....٥٨

١- من الجملة إلى النصّ ٥٨

٢- أهميّة البعد التواصلي في النصّ الأدبي.....٥٩

٣- الظاهرة التخاطبية في النص الأدبي.....٦١

٤- الأفعال الكلامية في النص الأدبي.....٦٣

٥- المقصدية في النص الأدبي.....٦٤

٦- الاستلزام الحواري وآليات إنتاج المعنى.....٦٦

٧- البعد الحجاجي الإقناعي في النص الأدبي.....٦٧

ب- مداخل المقاربة التداولية والعرفانية للخطاب الأدبي.....٧٢

١- السياق.....٧٣
٢- الوظيفة التواصلية.....٧٦
٣- القصدية.....٧٨
٤- التأويل.....٨٢
٥- الدلالة.....٨٤

خاتمة القسم النظري.....٨٧

القسم التطبيقي: تطبيقات الزناد للمقولات "العرفانية" في دراسة النصوص الأدبية.....٩٠

تمهيد.....٩١

الفصل الأوّل: المعرفة الموسوعية في النصّ: المقامة الحلوانية نموذجا.....٩٥

١- التأسيس النظري: مفهوم "المعرفة الموسوعية.....٩٧
٢- التناول الإجرائي: "المعرفة الموسوعية" في "المقامة الحلوانية".....١٠١

الفصل الثاني: الاستعارة المفهومية مدخلا للقراءة العرفانية.....١١٣

١ -الاستعارة المفهومية: الماهية والمبادئ.....١١٤
٢ -الجهاز المصطلحي.....١١٦
٣ -من النظرية إلى التطبيق.....١١٨
-النموذج الأوّل: حكاية العصفورة والفخّ.....١١٩
-النموذج الثاني: أنشودة المطر لبدر شاكر السياب.....١٢٥

الفصل الثالث: نظرية الأفضية الذهنية وتطبيقاتها.....١٣٢

١- أسس نظرية الأفضية الذهنية.....١٣٣

٢- تطبيقات نظرية الأفضية.....١٣٧

- النموذج الأوّل: "خبر جحا والحمّال".....١٣٧

- النموذج الثاني: خبر الأصمعي والرشيد.....١٤١

- النموذج الثالث: نصّ من مقدمة ابن خلدون (في العمران البشري).....١٤٥

خاتمة القسم التطبيقي.....١٥٠

خاتمة.....١٥٢

قائمة المصادر والمراجع.....١٥٧

قائمة المصطلحات.....١٦٥

فهرس المحتوى.....١٦٧

مقدّمة

لقد نأت اللسانيات بنفسها في البداية عن الأدب،واهتمّت بلغة التواصل اليومي وقد أعلن مؤسسها فرديناند دي سوسير أنّ موضوع علم اللغة هو اللسان، ونبّه إلى أنّه "لا ينبغي للغوي أن يدرس في كل فترة من الفترات اللسان الصحيح واللغة المنمّقة حسب، بل جميع التعبيرات الأخرى أيضا"[1] ويعود ذلك في تقديرنا إلى أنّ المشغل الأوّل لدى سوسير كان يتمحور حول دراسة اللغة بوصفها نظاما قابلا للوصف، ولذلك استبعد المعنى، وهو جوهر اللغة الأدبية، لما يتّصف به من ميوعة واستعصاء على الوصف والتنميط. فمن أبرز مميزات لغة الأدب أنّ الدلالة لاتدرك إلاّ بالتأويل، بينما ترنو اللسانيات البنيوية إلى دراسة اللغة دراسة وصفيّة موضوعية.

ولكن المتتبّع لتطور النظريات اللسانية يلاحظ بيسر أن هذا العزوف عن اللغة الأدبية لم يستمرّ طويلا، فقد وجد اللسانيون أنفسهم مدفوعين إلى تجاوز حدود اللسانيات البنيوية واقتحام مجال الدراسات الأدبية ممّا أدّى إلى حدوث تطوّرات متلاحقة نتجت عن التزاوج بين اللسانيات والنقد، وقد بدأ هذا التوجّه مع تلامذة فرديناند دي سوسير الذين سعوا إلى تطبيق المبادئ اللسانية في دراسة اللغة الأدبية، يبدو ذلك خاصّة مع أعلام الأسلوبية الأوائل أمثال شارل بالي وليو سبيتزر وجيل ماروزو وجوزيف كريسّو وميخائيل ريفاتير،فقد بيّنوا في أعمالهم أنّ لغة الأدب هي الأولى بالدراسة لأنّ الاختيار فيها يكون أكثر إرادة،وأكثر وعيا من لغة التخاطب اليومي. وموضوع الأسلوبية، كما يرى المسدّي، هو "دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحوّل الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية."[2]

---

[1] فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بغداد: آفاق عربية، ١٩٨٥، ص ٢٤.

[2] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، تونس: الدار العربية للكتاب، ط٣. د.ت، ص٣٦.

وكانت الأسلوبية في حقيقة الأمر بابا انفتح بين اللسانيات والأدب ثمّ تفرّعت بعده اتّجاهات وممرّات متنوّعة، والمتتبّع لتطوّر المدارس والنظريات اللسانية في مرحلة ما بعد البنيوية يلاحظ بيسر أنّ أغلب ما استجدّ من مقاربات لسانية مختلفة يظهر فيه التوجّه إلى دراسة اللغة الأدبيّة والبحث فيها عمّا يعمّق معرفتنا باللغة عامّة وبمسألة الدلالة اللغوية على وجه الخصوص. ولعلّ من بين المفاهيم الدالّة على هذا التوجّه مفهوم "نحو النصّ" وهو مصطلح يطلق على فرع من فروع اللسانيات تجاوز دراسة الجملة بوصفها الوحدة الدنيا للتحليل إلى الاهتمام بالنصّ من حيث نوعه وما فيه من مظاهر الانسجام والتعالق والسبك والتماسك. "وقد عرف هذا الاتجاه بـ "لسانيات النص"، وهو الاتجاه الذي يتخذ النص كله وحدة للتحليل. وبهذا أحدثت أكبر نقلة في اللسانيات، نقلة أبسط ما يقال عنها أنها كشفت عن ضيق شديد في الدراسات التي اعتمدت على الجملة، واعتبرتها الوحدة اللغوية الأساسية خاصة في الدراسات الأدبية. وهذا ليس نبذا للنموذج القديم وإحلال آخر جديد محله، بل تطور جدلي مستمر ومتصاعد"[١]. وعلى هذا الأساس أصبح النصّ الأدبي الذي تتوفّر فيه شروط الخطاب المكتمل موضوعا للدراسة اللسانية بمفاهيم وأدوات جديدة مثل "الجمل النصيّة" و"الجمل النظاميّة"[٢]

لقد وجد النصّ الأدبي الاهتمام من نظريات لسانية أخرى مثل السيميائية التي أثرت دراسة الأدب بمفاهيم ومصطلحات أدّت إلى تجديد المقاربات النقديّة، وقد اتّخذت السيميائية من العلامة مركز اهتمام لها انطلاقا من الحضور المميّز للعلامات في النصوص الأدبيّة، ويتميّز التحليل السيميائي للنصوص الأدبية بالنفاذ من الشكل إلى المضمون ومن الدال إلى المدلول فهي تدرس وظائف النصّ التي تسهم في توليد

---

[١] فولفجانج هانيه منه وديتر فيهيفجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨ / ١٤١٩هـ، ص١٩.

[٢] انظر الأزهر الزناد، نسيج النصّ، بحث في ما به يكون الملفوظ نصّا، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣.

الدلالة، ولا تقف مثل اللسانيات التقليدية عند حدود الشكل ولا تكتفي بحدود الجملة بل تحاول تتبّع السيرورة الدلالية التي تنشأ من التفاعل بين النصّ والقارئ.[1]

وتعدّ التداولية أيضا من أهمّ المدارس اللسانية التي أولت عناية خاصّة لدراسة اللغة الأدبيّة من خلال الاهتمام بالعلاقة بين العلامة ومؤوليها بالتركيز على المتكلّم والمتلقي والمقاصد والسياق، وقد قسّمت فرنسواز أرمينيكو الدراسة التداولية إلى ثلاثة مستويات: الأوّل يعنى بدراسة الرموز الإشارية بربطها بسياقها الإحالي، والثاني يدرس القضايا من خلال الخطاب الملفوظ في ارتباطها بالسياق الذهني، والثالث يخصّ نظرية أفعال الكلام في اتّصالها بالسياق التداولي.[2]

ولعلّ من أحدث المقاربات اللسانية التي اقتحمت مجال الأدب المقاربة العرفانية، وهي امتداد للنحو العرفاني، وهو اتّجاه نفسي لساني يقوم على معالجة اللغة بالتركيز على العمليات الذهنية التصوّرية التي تجري أثناء عملية التخاطب، ويقع على أساسها تركيب الخطاب من جهة المنشئ وتفكيكه وفهم الرسالة المضمنة فيه من جهة المتلقّي. فالتصورات والعمليات الذهنية عند أصحاب هذا الاتجاه، هي أساس الأبنية اللفظية في مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية، "فاللغة عند العرفانيين وعند رونالد لانقاكر بصفة خاصّة، مسترسل من الأبنية الرمزية، وكلّ الوحدات اللغوية ما كان منها معجميا أو صرفيا أو تركيبيّا، وحدات رمزية تربط بين قطب دلالي وقطب فونولوجي، ولا يمكن الفصل بين مختلف مستوياتها"[3]

انشغلت الاتجاهات اللسانية الحديثة باللغة الأدبية مثلما انشغلت بها العرفانية كذلك، فنشأت مقاربة تتخذ من مبادئ النحو العرفاني آليات لتحليل النصوص الأدبية والبحث فيها من وجهة نظر علم الدلالة

---

[1] لمزيد التوسّع حول السيميائية انظر: –محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٧.
– عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، الجزائر دار الكتاب العربي، ٢٠٠١.

[2] فرنسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علّوش، المغرب: مركز الإنماء القومي، د–ت، ص٣٨.

[3] عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، تونس: مسكلياني للنشر والتوزيع، ط١/ ٢٠١٠، ص١٨.

العرفاني الذي انبنى على أسس منطقية تفسّر طبيعة النشاط العقلي مثل المقْوَلة والطراز والفهم والخيال والمعنى المتجسّد، وهي تعدّ "مفاتيح في علم الدلالة العرفاني لإعادة فهم ذواتنا وفهم العالم من حولنا وفهم اللغة والإبداع".[1] وقد أكّد عامر الحلواني أهميّة الآفاق التي يفتحها المنهج العرفاني في دراسة الأدب بقوله: "نعتقد أن المنهاج العرفاني (la methode cognitive) الذي يعيد النصّ إلى حقل التأمّل المعرفي والوجداني والجمالي من منظورات مختلفة، قادر على أن يفتح أفقا معرفيا جديدا لقراءة النصوص الأدبية بكثير من الوعي بآلياتها الداخلية والإنصات لأصواتها الخارجية والإذعان لمؤثراتها التجريبية وتجلياتها الإدراكية والحدسية وتصوّراتها العقلية."[2]

ولما كانت النظرية العرفانية من أحدث النظريات اللسانية فقد استثارت انتباهنا وشغلتنا مفاهيمها ومصطلحاتها، كما لاحظنا أنّ الاتجاه—العرفاني–قد أصبح من المناهج التي تستخدم في دراسة النصوص الأدبية —نثرا وشعرا–ومقاربتها وتحليلها بالاعتماد على مقولات ومبادئ جديدة، ويبدو ذلك في اتّجاه العديد من الباحثين إلى دراسة قوانين استعمال اللغة في المقامات التواصلية المختلفة، وتنامت المباحث في هذا السياق وتنوعت، وأسهم الباحثون العرب إسهامات جدية في توظيف المقاربات التداولية والعرفانية لتحليل النصوص وقراءتها. فكان كلّ ذلك دافعا لنا لاختيار البحث في موضع جعلنا له عنوانا: " **العرفانية في الأدب بين النظرية والإجراء**"

ويتأسّس هذا الموضوع على إشكالية رئيسية مؤدّاها التساؤل عن أمرين متلازمين:

–أوّلهما: ما الذي يميّز المقاربة العرفانية عن غيرها من المقاربات من الناحية النظريّة؟

–والثاني: ماهي الإضافة النوعيّة التي حقّقتها هذه المقاربة من الناحية الإجرائية؟

---

[1] محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، صفاقس: مكتبة علاء الدين، ط١/ ٢٠٠٩، ص٩.

[2] عامر الحلواني، المنوال المنهاجي والرهان العرفاني، الاستعارة التصورية في أشعار الهذليين أنموذجا، صفاقس، التسفير الفن، ٢٠٠٩، ص٤٩.

وتتّفرّع عن هذين السؤالين أسئلة أخرى تدعو إلى البحث والاستقصاء، لعلّ من أهمّها: ما هو السياق المعرفي الذي نشأت فيه المقاربة العرفانية؟ وما هي علاقتها بالمقاربات السابقة؟ هل تتاقطع معها وتتجاوزها بشكل نهائي أم هي مجرّد تطوّر واستمرار؟ وما الذي تضيفه لنا العرفانية في دراسة الأدب وفهمه؟ هل تعمّق التصورات التي قام عليها فهمنا للنصوص الأدبيّة؟ وهل يمكن لتلك التصوّرات أن تعمّم وتتحوّل إلى آليات لتحليل النصوص؟

إنّ هذه الأسئلة وغيرها ممّا هو شبيه بها أو متفرّع عنها تمثّل منطلقاتنا في هذا البحث، إذ تستقطب الشواغل الأساسية للموضوع وتوجّهنا لرسم الأهداف التي يرنو البحث إلى بلوغها، وهي ثلاثة أهداف كبرى نلخّصها في النقاط التالية:

-محاولة فهم الأسس النظرية التي تنبني عليها المقاربة العرفانيّة بوصفها نظرية في علم الدلالة نشأت لدراسة اللغة واقتحمت مجال الأدب.

-الوقوف على الأبعاد التطبيقية للعرفانية من خلال دراسة بعض النماذج من النصوص التي وقع تحليلها من منظور عرفاني.

-استجلاء مدى التطابق والاختلاف بين النظرية والتطبيق، ومدى استجابة النصوص الأدبية للمقولات ومفاهيمها العرفانية.

ولئن كانت هذه الأهداف مهمّة ويمكن أن تحدّد وجهة البحث وترسم مساره إلاّ أنّ التطلّع إلى تحقيقها لم يكن بالأمر اليسير الهيّن، فقد واجهتنا صعوبات جمّة مردّها إلى جدّة الموضوع واتّساع مداه، فالدراسات العربيّة المخصّصة للتداولية والعرفانية مازالت قليلة ومحدودة لا تكاد تتجاوز، في الغالب، شرح بعض المبادئ أو إجراء بعض التطبيقات، بينما تطوّرت اللسانيات العرفانية في الغرب وبلغت شأوا بعيدا. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ المهتم بالعرفانية نظرية ومنهجا لا يمكنه أن يتمثّل مبادئها على أحسن وجه إلاّ إذا

ألمّ بعلوم ونظريات متنوّعة ومختلفة المشارب، فالعرفانية اليوم شجرة من العلوم متعدّدة الفروع مثل علم النفس وعلم الأعصاب والأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم الدماغ وعلم الحساب، وليست اللسانيات العرفانية إلاّ فرعا يتداخل مع هذه العلوم ويتشابك معها من حيث التصورات والمفاهيم، وهو ما يفرض على الباحث أن يكون منفتحا على تلك العلوم وعلى وعي بالتقاطعات بينها.

وإدراكا لهذه الصعوبات المحيطة بالموضوع وحتّى لا تضيع بنا السبل اخترنا أن نباشر المسألة بالاعتماد على مدوّنة محدّدة تمثّل، في اعتقادنا، أبرز الإسهامات العربيّة في التعريف بالتداولية والعرفانية ومحاولة تطبيقها في قراءة نصوص مختلفة. هذه المدونة هي كتابات باحث لساني تونسي هو الأزهر الزناد، فله مجموعة من الكتب والمقالات خصّصها للبحث في قضايا النصّ والخطاب من منظور عرفاني[1]. والذي شدّ انتباهنا في كتابات الزناد وجعلنا نختار منها مدوّنة البحث يكمن في تضافر عدّة عوامل نذكر منها:

-أنّ الزناد يعدّ من أكثر المهتمّين بالعرفانية وأقدمهم، فقد بدأ اهتمامه بها في ثمانينات القرن الماضي إبّان ظهورها في الدراسات الغربية وتواصل إلى أيّامنا.

- لم يكن الزناد في كتاباته مجرّد مترجم أمين للنظريات الغربيّة، ولم يقف عند حدود التطبيق الآلي لتلك النظريات،بل حاول من موقعه أن يسهم في بلورة عرفانية عربية، بالاعتماد على نصوص مختلفة اختارها بوصفها معطيات خطابية لغاية أساسية هي "سبر الأدوات النظرية، فيكون إقرارها إن ثبتت أو تحويرها إن توفّر ما يدعو إلى ذلك أو إبطالها إن بان قصورها"[2]

-يتعامل الزناد مع اللسانيات العرفانية بوصفها طرحا جديدا يخالف الاتجاهات السابقة، فهو يرى أنّ اللسانيات العرفانية قد نهضت على "نقض تيارات سابقة نقضا منهجيا بالأساس"[3]، وهو ما

---

[1] انظر التعريف بالأزهر الزناد وبأعماله في بداية القسم التطبيقي من البحث.

[2] الأزهر الزناد، النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفنية، تون: مركز النشر الجامعي/ دار محمد علي للنشر، ٢٠١١، ص١٢.

[3] الازهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، تونس، دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠، ص٢٧.

يعني أنّه سيكون مشغولا في أعماله ببيان ما تتميّز به العرفانية بوصفها منهجا مستحدثا في فهم اللغة وتحليل الخطاب.

وإذا كان اختيار أعمال الأزهر الزناد مدوّنة للبحث في موضوع العرفانية تنظيرا وتطبيقا يمكن للاعتبارات المذكورة أن تذلّل بعض صعوبات البحث، فإنّ هناك صعوبات أخرى لا يمكن تجاوزها إلاّ بضبط المفاهيم والمصطلحات والتحكّم فيها توخّيا للدقّة وحرصا على تجنب المزالق الناتجة عن فوضى المصطلحات. لذلك ارتأينا في هذه المقدّمة أن نحدّد مصطلحين أساسين ، هما التداولية والعرفانية، وسنحدّد المصطلحات الأخرى التابعة لهما في سياقاتها من البحث.

فأمّا مصطلح التداوليّة، فهو مقابل للمصطلح الأجنبي (Pragmatics)، ولئن تنوعت في البداية الترجمات العربية لهذا المصطلح مثل البراجماتية والمقاصدية والذرائعية والنفعيّة، فإنّ المصطلح الذي استقرّ واكتسب شرعية هو مصطلح "التداولية". ويطلق هذا المصطلح على اتجاه لساني حديث ظهر في الغرب في البداية في أعمال الفيلسوف شارل ساندرز بيرس، ثمّ طورها تلميذه شارلز موريس، إذ عدّها فرعا من فروع السيميائية موضوعه "دراسة العلاقات بين العلامات ومستعمليها". ثمّ تحوّلت التداولية إلى اتّجاه لساني مميّز في العقد السابع من القرن العشرين مع ثلاثة من العلماء المشتغلين بفلسفة اللغة بجامعة أكسفورد هم: اوستن وسيرل وغرايس.[1] وقد استخدمت مبادئ اللسانيات التداولية في دراسة الخطاب الأدبي، ومن أهمّ تلك المبادئ مفهوم السياق، ومفهوم الإنجاز، والاقتضاء والتضمين والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية.

وأمّا اللسانيات العرفانية، فهي مقابل للمصطلح الأجنبي (Cognitive Linguistics) الذي أطلق على اتجاه لساني جديد ظهر في العقد السابع من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأميركية، وجاء

[1] لمزيد التوسّع يمكن الرجوع إلى: أحمد عزوز، المدارس اللسانية: أعلامها–مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار آل الرضوان، وهران، ط:٢، ٢٠٠٨ .

ردّا على تهميش المدرسة التوليدية للدلالة، فجعل هذا الاتجاه للدلالة مكانة أساسية وربطها بما يسمّى بالتمثيلات الذهنية وهي رموز باطنية افتراضية تمثل الواقع الخارجي، واعتبرها نشاطا يعالجه الذهن كما يعالج أيّ نشاط بشري عادي كالإبصار والأكل والمشي وغيره. وتولي اللسانيات العرفانية أهميّة للتفاعل بين المعنى والمعالجة الإدراكية والتجربة مع الجسد والتجربة مع المحيط الثقافي الذي نعيش فيه. ومن أبرز اللسانيين الذين أثروا هذا الاتجاه نذكر شارل فيلمور وجورج لا يكوف ورونالد لنقاكر وليونار تالمي وغيرهم. وقد وجدت اللسانيات العرفانية طريقها إلى الأدب متجاوزة التقسيم التقليدي بين الكلام العادي والكلام الأدبي، فكل منهما موجود في الآخر بالضرورة، وتعدّ الاستعارة التصورية من أبرز الأمثلة على ذلك، فهي لم تعد، كما شاع عنها في البلاغة الكلاسيكية، مجرّد محسّن من محسّنات الكلام، وإنّما أصبحت ترتبط، من المنظور العرفاني، بنظامنا الذهني والإدراكي فأذهاننا تعمل بطريقة استعارية، ويبرز ذلك حين نستعير تجاربنا المادية لنفهم بها تجاربنا الشعورية أو التجريدية. [1]

ولعلّه من الجدير الإشارة في هذا السياق إلى أنّ الأزهر الزناد لم يترجم مصطلح العرفانية على النحو المتداول في الرسم (العرفانية) بل اقترح ترجمة ترسم الكلمة بطريقة مختلفة هي: (العرفنية). وبرّر اختياره ذلك بتجنّب اللبس مع مصطلح العرفان ذي الخلفية الصوفيّة. ولكننا لاحظنا أن الطريقة الشائعة في رسم المصطلح هي الطريقة الأولى فاعتمدناها، ولم نعتمد الطريقة الثانية في الرسم إلاّ في المواضع التي نقلنا فيها كلام الزناد.

وإذا كان في تحديد أهداف البحث واختيار مدونته وضبط مصطلحاته ما يساعد على تذليل صعوباته فإنه من المؤكّد كذلك استكمالا لعناصره الأساسية أن نحدّد المنهج الذي سنعتمده والخطة التي سنسير عليها، ففي ذلك ما يساعد على توضيح الرؤية وتسهيل المسار.

---

[1] انظر: توفيق قريرة، الشعرية العرفانية، مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعرية قديمة وحديثة، القيروان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٥.

وقد فرضت علينا طبيعة الموضوع أن نعتمد منهجا استقرائيا يقوم على تتبّع المعطيات النظرية والتطبيقية وفحصها وتحليلها وبحث العلاقات بينها قصد تفسيرها واستخراج الحقائق الكامنة فيها، وقد اعتمدنا في ذلك على معطيات نصيّة مختلفة استقيناها من مراجع متنوّعة، بعضها من الأعمال النظرية التي ألفها أصحابها للتعريف بالمبادئ وشرح المفاهيم، وبعضها ينتمي إلى المجال التطبيقي ؛ لأنّه اتّخذ من المفاهيم النظرية آليات اعتمدها لمقاربة النصوص وتحليلها. ونأمل أن يساعدنا ذلك على تقديم رؤية تأليفية جامعة تعرّف بالعرفانية نظريا وتطبيقيا.

وعلى أساس هذا الاختيار المنهجي اتضحت خطة البحث وتحدّدت أقسامه وفصوله، فانقسم إلى قسمين متكاملين وتفرّع كل منهما إلى ثلاثة فصول:

-فأمّا القسم الأوّل فهو قسم نظري خصّصناه للتعريف بالتداولية وشرح مفاهيمها وتقريب مصطلحاتها من خلال ثلاثة فصول:

- الفصل الأوّل بعنوان من اللسانيات البنيوية إلى اللسانيات العرفانية في سياقها المعرفي، وحاولنا فيه أن نبيّن التدرّج في تطوّر النظريات اللسانية في الغرب بداية من اللسانيات البنيوية وصولا إلى اللسانيات العرفانية، وقدّرنا أنّ التتبّع التاريخي من شأنه أن يساعد على إبراز التطورات الرئيسية التي عرفها التفكير اللساني الحديث.
- الفصل الثاني بعنوان: المصطلحات والمفاهيم، وعملنا فيه على توضيح أهمّ المصطلحات اللسانية بعد توزيعها على ثلاثة محاور: المصطلحات اللسانية، والمصطلحات التداولية، والمصطلحات العرفانية، ويستمدّ هذا الفصل أهميته من كونه يحاول تحديد المفاهيم وتوضيحها، وهو ما يمكن أن يضمن الاستخدام السليم للمصطلحات.

- الفصل الثالث، جاء بعنوان: أسس المقاربة العرفانية للنص الأدبي، وحاولنا فيه أن نكشف عن الأسس النظرية والمنهجية في المقاربة العرفانية للنصوص الأدبية، وتوقّفنا بشكل خاصّ عند الاعتبارات الرئيسية التي تحدّد مفهوم الأدب وطرائق تحليله من المنظور العرفاني، فهذه الاعتبارات هي التي ستحدّد، في اعتقادنا، أهمّ الخطوات المنهجية أثناء الدراسة التطبيقية.

-وأمّا القسم الثاني فهو قسم تطبيقي عملنا فيه على المرور من النظرية إلى التطبيق قصد الوقوف على المسافة الفاصلة بينهما ومدى التطابق والاختلاف، واعتمدنا في ذلك على نماذج استقيناها من مؤلفات الأزهر الزناد وزّعناها على ثلاثة فصول، يختصّ كلّ فصل منها بمدخل من المداخل المعتمدة في مقاربة النصوص:

- في الفصل الأوّل تناولنا مفهوم **المعرفة الموسوعية** من خلال نموذج "المقامة الحلوانية"، فعمدنا في البداية إلى تفسير المفهوم وبيان أسسه النظريّة، ثمّ نظرنا بعد ذلك في الكيفيّة التي وظفه بها الزناد في تحليل نصّ المقامة، وحاولنا أن نستخلص من ذلك العلاقة بين الجهاز النظري والتوظيف الإجرائي.
- والفصل الثاني عقدناه على مسألة **الاستعارة المفهومية** من خلال نموذجين هما حكاية "العصفورة والفخّ" و"أنشودة المطر"، فشرحنا مفهوم الاستعارة المفهومية أو التصوّرية عند العرفانيين وبيّنا الفروق الجوهرية بينها وبين مفهوم الاستعارة عند البلاغيين، ثمّ تناولنا الطريقة التي اعتمدها الزناد في قراءة النماذج التي اختارها، وسعينا إلى إبراز النتائج التي حقّقها والحدود التي وقف عندها.
- أمّا الفصل الثالث والأخير فقد خصّصناه لمفهوم **الأفضية الذهنية**، ونظرنا في تطبيقاته من خلال ثلاثة نماذج هي: خبر جحا والحمّال،وخبر الأصمعي وهارون الرشيد،ونصّ

من مقدّمة ابن خلدون، وقد بيّنا الفروق التي برزت في تحليل الزناد لهذه النماذج المختلفة، وكيف حاول إثراء مفهوم الأفضية وتوسيعه ليشمل نصوصا تختلف فيها طريقة انتظام الأفضية عن النموذج النظري الذي حدّده أصحاب المفهوم.

لقد حاولنا بتوزيع البحث على هذه الأقسام والفصول أن نكون أوفياء لعنوانه ولمصطلحاته ولمدونته وللإشكالية التي انطلقنا منها، وذلك بتحقيق التوازن المطلوب في دراسة العرفانية في الأدب بين البعدين النظري والإجرائي، فقيمة المناهج النقدية إنّما تكمن في هذين البعدين مجتمعين، إذ لا فضل للمعرفة النظرية إذا بقيت مجرّدة ومتعالية ولم تكن فعّالة في استقراء النصوص وتحليلها، ولا قيمة كذلك للبعد الإجرائي ما لم يكن مستندا إلى أسس نظريّة تدعمه، وتكون قابلة للتّحوّل إلى مقولات وقوانين لها حظّ من التجريد يسمح باعتمادها في قراءة نصوص أدبية مختلفة.

ونرجو أن يكون البحث قد تهيأ له –وفق هذه الرؤية التي اعتمدناها– ما يمكن أن يساعد على بلوغ الأهداف المرسومة وتحقيق بعض النتائج التي نأمل أن تسهم في التعريف بالمنهج التداولي العرفاني، وتنضاف إلى مجهودات الدارسين، وتؤدّي إلى تحقيق إضافة ولو بمقدار يسير.

القسم النظري

العرفانية بين اللسانيات والأدب

تمهيد

اللغة وعاء الفكر الإنساني، وحاملة الحضارة إلى الأجيال المتعاقبة، فبعد أن يدور الزمان دورته وتندثر حضارة وتزدهر أخرى فإن الحضارة الدارسة تبقى آثارها مخلدة بواسطة اللغة التي تحملها وتحمل إبداعها وفلسفتها وأفكارها إلى أبناء الحضارة الجديدة لاستكمال ذلك المخزون وتطويره.

واللغة تفعل هذا عن طريق نظامها الخاص؛ فاللغويون أيا كانت مذاهبهم شبه مجمعين "على اعتبار اللغة نظاما من الأنظمة؛ أي مجموعة من العناصر، لكلّ عنصر فيها وظيفة يسهم بآدائها في إطار عمل المجموع... والدراسات المبكرة كان موضوعها دراسة الوحدات الصغرى لكل جانب من جوانب اللغة، وكانت وظيفة كل وحدة ما يميّزها عن سواها من الوحدات. غير أنه من غير المحتمل أن يقوم أحد بمعادلة هذا النوع من الأنظمة بعمليات الاتصال، فالناس لا يجمعون الوحدات التمييزية الواحدة مع الأخرى على نحو جلي أو مباشر. وفي الحق فإن الاختبارات التجريبية تدل على أن الكثير من الوحدات التمييزية المجردة لا يحظى باحتفاظ واع أثناء عملية التكلم الواقعي؛ وإنما يستعاد من خلال السياق"[1]

وهذه الوحدات التمييزية للغة تتجلى من خلال دراسة اللغة في مستوياتها الأربعة وهي "الأصوات أو ما يسمى بحروف الهجاء أو حروف المباني؛ أي تلك الحروف التي تنبني منها الكلمات. والأبنية الصرفية، أو الصيغ forms، وتدخل في إطارها الكلمات، words أو المفردات التي هي عبارة عن مجموعة من الأسماء والأفعال والحروف. والتراكيب النحوية grammatical structures... التي

[1] روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات نظرية، ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.٢، ١٩٩٩م، ص ٥٥.

تنشأ من ضم الكلمات فيما بينها، حتى يتكون لدينا سياق نحوي أو لغوي ذو معنى مفيد. وأخيرا المعنى أو الدلالة"[١].

وكون الدلالة أحد مستويات النظام اللغوي لا يعني أن تكون منفصلة عن سائر المستويات، أو تدرس بمعزل عنها؛ بل هي الخيط الذي تنتظم فيه سائر المستويات الأخرى من أجل إنتاج المعنى، "وهكذا تصبح الدلالة -بوصفها بنية لغوية – نظاما لشكل العلاقات من جهة، ونظاما لوظائفها من جهة أخرى"[٢].

فالأصوات تتشكل منها بنية الكلمة، ومن العلاقات التركيبية بين الكلمات تتكون الجملة، التي لا بد أن تحيل على معنى دلالي في السياق الواقعي للأحداث، وهذا هو ما تعنى به التداولية؛ وللحديث التفصيلي عن معنى التداولية، ثم ربطها بكل من علم النفس العرفاني والدلالة العرفانية[٣] وصولا إلى تعريف العرفانية، وبعد ذلك بيان المقاربة النقدية من منظور عرفاني؛ فإننا سنتدرّج في هذا القسم النظري من أقسام البحث، من محاولة تأطير العرفانية في سياقها المعرفي بذكر أبرز المراحل السابقة في الدراسات اللسانية المعاصرة، ثمّ نركّز بعد ذلك على التعريف بأهمّ المصطلحات التي تقوم عليها كلّ من التداولية والعرفانية، ثمّ نخصّص المبحث الثالث والأخير لتقديم المنهج العرفاني وأهمّ مرتكزات نظرته إلى النصّ الأدبي.

---

[١] محمود سليمان ياقوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٥، ص ٢٤٥.

[٢] منذر عياشي، اللسانيات والدلالة: "الكلمة"، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ط١، ١٩٩٦م، ص٤١.

[٣] تختلف المسميات عند النقاد والدارسين بين من يسميها "العرفنية" ومن يسميها "العرفانية"، ومن يسميها "المعرفية" وتوحيدا للمصطلح سوف نستخدم، كما سبق أن أشرنا: مصطلح "العرفاني" نظرا إلى كونه الأكثر شيوعا.

الفصل الأوّل

من اللسانيات البنيوية إلى اللسانيات العرفانية

تمهيد

إنّ العرفانية هي من المراحل المتأخّرة في الدراسات اللسانية الحديثة، فقد عرفت اللسانيات تطورات متلاحقة ومراحل متعاقبة، ولوضع هذه النظرية في سياقها المعرفي يحسن التوقّف عند المحطّات التي مهّدت لظهورها، فـ "الألسنية علم ظهرت مفهوماته الأساسية في أوائل القرن العشرين على يد العالم السويسري فرديناند دي سوسير (١٨٥٧م – ١٩١٣م) فكان رائدا للمدرسة اللسانية، وقد أطلق عليه لقب أب علم اللغة الحديث"[١].

ودي سوسير لم يكن مجرد رائد لعلم اللغة الحديث؛ فالمبادئ اللغوية واللسانية التي وضعها أشعلت ثورة في الدراسات اللغوية في العالم أجمع؛ إذ "ما يزال دي سوسير بعد مرور [ما يقارب] مائة سنة على وفاته يستثير القرائح والمداد. والباحثون يسعون وراء المسكوت عنه أو المغيب من أفكاره وتعاليمه التي مهدت الطريق لنضوج هذا العلم واستكماله لنظرياته وتطبيقاته ولأدواته الإجرائية. وعديدة هي المؤلفات التي صدرت في فرنسا وفي أوروبا وفي آسيا وبالتحديد في كوريا واليابان وفي الشرق الأوسط" [٢].

وليس أمر دي سوسير وثورته العلمية وقفا على الدراسات التي أجريت حوله، وإنما ذلك الثراء الفذ في النظريات التي نبعت من الاعتماد على المبادئ التي وضعها للسانيات والدراسات اللغوية؛ ولكن الأفكار التي "وردت في محاضرات دي سوسير بعثت علوما جديدة أو أبرزت مناهج دراسة مهمة. فقد أشار دي سوسير إلى الصلة بين اللغة وأنماط الإشارة الأخرى؛ كنظام المآدب والأزياء والسلوك والإشارات العسكرية وأبجدية الصم والبكم. وتصور وجود علم جديد دعاه بـ (semiologie) يدرس أنظمة الإشارة اللغوية

---

(١) هيام كريدية، أضواء على الألسنية، بيروت: المؤلفة، ط.١، ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م، ص١١.

(٢) ميشال أريفيه، البحث عن فرديناند دو سوسير، ترجمة: محمد خير محمود البقاعي، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط.١، ٢٠٠٩، ص١٤.

وغير اللغوية. وقد صارت السيمياء حقيقةً علما من العلوم المحدثة. وكانت فكرة دي سوسير عن اللغة بوصفها منظومة (system) تتألف من عناصر لا توصف بحدِّ ذاتها بل من خلال تقابلها مع العناصر الأخرى باعثا لنشوء البنيوية (structuralism) مع أن دي سوسير لم يستعمل كلمة (structure). كذلك كان تركيزه على العوامل الجغرافية داعيا إلى الاهتمام بالصلة بين اللغة والجغرافيا حتى ظهر اختصاص لساني جديد هو اللسانيات الجغرافية"[1].

وقد ظلت المدارس اللغوية تتطور من البنيوية إلى البنيوية التكوينية، ومنها إلى النحو التحويلي التوليدي عند تشومسكي، فالتفكيكية، حتى وصلنا إلى خروج اللسانيات من مأزق الانغلاق النسقي الذي وضعته البنيوية، ومتاهة التأويل التي وضعتها التفكيكية بالرجوع إلى اللغة ودراستها في ضوء دلالاتها الاستعمالية وهو ما تهتم به الدراسة التداولية للغة؛ فلقد "قدم فلاسفة اللغة المعاصرون جهودا أفرزت نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأسس المعرفية، انبثقت عنها تيارات لسانية جديدة، منها التيار التداولي، وهو مذهب لساني يركز على دراسة العلاقة بين اللغة ومستعمليها بكل ما تحتويه هذه العلاقة من خصائص ومميزات" [2].

وانطلاقا من هذه التطورات فإنّنا سنحاول في هذا المبحث التوقّف عند المحطّات الكبرى التي تمثّل مجتمعة السياق المعرفي الذي احتضن ظهور المنهج التداولي العرفاني، وقد اخترنا أن نعرّف اللسانيات أوّلا بوصفها العلم الذي انحدرت منه مختلف النظريات والمدارس الحديثة، ثمّ نهتمّ بعد ذلك بعلم الدلالة.

---

[1] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دمشق: دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م، ص٢٥.

[2] علي محمود حجي الصراف، في البرجماتية.. الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م، ص (أ) من المقدمة.

١- اللسانيات

اللسان في اللغة هو "جارحة الكلام وقد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث ... واللسان المقول يذكر ويؤنث والجمع ألسنة ... وإن أردت باللسان اللغة أنثت يقال فلان يتكلم بلسان قومه" [١]. وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[٢]، أي بلغة قومه.

وحين يعني "اللسانُ" اللغةَ، ويأتي مصطلح "اللسانيات" جمعا متصلا بياء "النسبة" فاللسانيات تُعنى –إذن–تلك الدراسات التي تدور حول اللغة "لإدراك نواميس الحدث اللغوي وبلوغ محركات الظاهرة الكلامية في نسيجها المتفاعل عضويا مع مقولة الإنسان متكلما باللغة ومفكرا فيها"[٣]. ويتّفق المؤرّخون لعلم اللسانيات على أنّ البداية الحقيقية لظهور هذا العلم تعود إلى "صدور كتاب "دروس في اللسانيات العامة" سنة ١٩١٦ لفاردينان دي سوسير، إذ قام هذا الكتاب بثورة جذرية في تاريخ اللسانيات، فتحولت معه اللغة إلى موضوع في البحث اللساني المستقل بذاته، يبحث في خصائصها البنيوية وقواعدها العلمية [٤].

---

[١] ابن منظور، لسان العرب ، مادة (ل.س.ن) ص٣٨٥.

[٢] سورة إبراهيم: آية٤.

[٣] عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ١٩٨٦م، ص١٣.

[٤] خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م، ص٢٣.

ولقد تطورت دراسات اللسانيات حتى "قام التمييز بين نوعين اثنين من اللسانيات، "لسانيات تزامنية" و"لسانيات تعاقبية"، لسانيات تتناول اللغة بوصفها نسقا متكاملا في حقبة معينة، ولسانيات تعاقبية تدرس متغيرات هذا النسق عبر مراحل تطوره"[1].

وبالتالي يفهم من العرض السابق أن اللسانيات هي تلك الدراسات العلمية التي تدور حول اللغة لمعرفة نظامها والنسق الحاكم لها، وصفا وتحليلا وتقعيدا، سواء دراسة اللغة ونسقها في حقبة معينة، أو ما يطرأ على هذا النسق من تغيرات نتيجة تعاقب الحقب الزمنية وتغير الاستخدامات الكلامية للنسق اللغوي؛ فـ"اللسانيات علم موضوعه اللغة، ومن بداءة المعرفة أن يحدد العلم موضوعه تحديدا مفهوميا"[2]؛ وبناء عليه فإن دراسة "اللسانيات" تعني دراسة اللغة دراسة علمية منهجية، أو ما اصطلح عليه بـ"علم اللغة" ولنا معه وقفة متأنية في تعريفه. وتعريف الفارق بينه وبين "فقه اللغة".

ويذكر جون ليونز تعريفا لعلم اللغة؛ فيقول: "يعرف علم اللغة عادة بأنه العلم الذي يختص بمجال اللغة أو أنه الدراسة العلمية للغة"[3]. إن هذا التعريف لا يحدد بشكل دقيق معنى "علم اللغة"، لكنه يذكر مجال هذا العلم وميدانه، وهو اللغة، معرفا بأنه الدراسة العلمية لها، وهذا يعني أنه قد تكون ثمة دراسات غير علمية، وبالتالي فإن تمييز العلمي عن غير العلمي يقتضي أن يكون ثمة إجراءات متبعة في الدراسة تجعلها عملية، وتخرجها من حيز الدراسة غير العلمية.

لقد كان تعريف رمضان عبد التواب لعلم اللغة أكثر دقة، فقد عرّف فيه الإجراءات التي تجعل من دراسة اللغة علما، كما عرف المقصود بـ"اللغة" كمجال تطبيقي لدراسة "علم اللغة"؛ يقول: "علم اللغة، هو

---

(1) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، الدار العربية للعلوم ناشرون ببيروت، ومنشورات

(2) عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص٢٣.

(3) جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ترجمة: مصطفى زكي حسن التوني، القاهرة: دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص٤٩.

العلم الذي يبحث في اللغة، ويتخذها موضوعا له، فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية، والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من هذه اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة. وموضوع علم اللغة، هو كل النشاط للإنسان في الماضي والحاضر، يستوي في هذا الإنسان البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحة أو لحن، أو جودة أو رداءة، أو غير ذلك"[1].

لقد حدد رمضان عبد التواب في هذا التعريف كيفية الدراسة اللغوية العلمية، فجعلها تتناول اللغة من جميع جوانبها بمناهج وصفية أو تاريخية أو مقارنة، كما يدرس العلم العلاقات بين اللغات، لكي يصل إلى الماهية المجردة للغة بوصفها نظاما عاما للتواصل والتعبير، وليس نطاقا جغرافيا أو مختصا بقوم دون آخرين؛ وهو –رمضان عبد التواب– في هذا الصدد ينبه إلى أن "هناك أصولا وخصائص جوهرية، تجمع ما بين هذه اللغات، كما تجمع بينها وبين سائر اللغات، وصور الكلام الإنساني، وهو أن كلا منها لغة، أو نظام اجتماعي معين، تتكلمه جماعة معينة، بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتحقق به وظائف معينة، ينتقل من جيل إلى جيل، فيمر بأطوار من التطور، متأثرا في ذلك بسائر النظم الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والدينية وغير ذلك"[2].

إن اللغة –بوصفها لغة وليس بوصفها لغة قوم–"لها علاقة وثيقة بعلم الإنسان، وعلم الاجتماع، باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية، ووسيلة نقل الثقافة التي تعتبر من وجهة نظر علم الإنسان مجموعة تقاليد الشعب وأوجه استعمالاته للغته. وبالنظر إلى وظيفة اللغة كتعبير عن الفكر، يمكن اعتبار اللغة جزءا من علم النفس، كذلك تطرق اللغة كل أبواب النشاط الإنساني المشترك من عقيدة وحرب وسياسة وقانون

([1]) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة: دار الخانجي، ط.٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ص٧.

([2]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وترفيه. واللغة –إلى جانب ذلك–تعمل كأداة للفكر الراقي، فالخطابة والأدب والشعر والفلسفة والعلوم، كل هذه الخطابات لا بد أن تتناول عن طريق اللغة"[١].

واللغة على هذا النحو متصلة بكل أوجه النشاط الإنساني، وبالتالي فإنّه لا بدّ في دراستها من مراعاة اتصالها بهذه الأوجه المختلفة للنشاط والوجود الإنسانيين، ودراستها في علاقاتها المتشعبة والمتباينة تلك تدرس من منطلقين؛ الأول منطلق علم اللغة، والذي تتجه "عناية الباحثين فيه إلى كشف القوانين الخاضعة لها الظواهر اللغوية في مختلف أشكالها ومناحيها، وقد اهتدوا إلى طائفة كبيرة من هذه القوانين: منها ما يتعلق بالأصوات، وما يتعلق بالدلالات، ومنها ما يتعلق بحياة اللغة، ومنها ما يتعلق بوظائفها ... ؛ بعضها خاصٌّ يصدق على لغة معينة، وبعضها عامٌّ ينطبق على فصيلة من اللغات، وبعضها أعم يصدق على جميع اللغات"[٢].

والمنطلق الثاني الذي تدرس منه اللغة هو فقه اللغة، والذي "لا يختص بدراسة اللغات فقط. ولكن يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي للغات موضوع الدراسة، أما علم اللغة (Linguistics) فيركز على اللغة نفسها ولكن مع إشارات عابرة –أحيانا–إلى قيم ثقافية وتاريخية، ويولي علم اللغة معظم اهتمامه للغة المتكلمة، وإن كان يوجه كذلك للغة المكتوبة شيئًا من الاهتمام"[٣].

إذن اللغة –في أساسها– رموز أو أصوات تستخدم من أجل التواصل والتعبير المقصدي عن حاجات المتواصلين بها، وبالتالي فإن اللغة في تعريفها مقترنة بالدلالة، التي عن طريقها نصل إلى المقصد، ونقيم عملية تواصلية سليمة؛ وما دامت اللغة تدرس علميا؛ فإن الدلالة كذلك تدرس علميا.

---

(١) أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة، القاهرة: عالم الكتب، ط.٨، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص٤٢.

(٢) علي عبدالواحد وفي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط.٩، ٢٠٠٤م، ص٢٠.

(٣) أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة، ص٣٥.

٢-علم الدلالة

الدلالة في اللغةً: مأخوذة من دلّ، أي من مادةِ (د ل ل)، و "الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ"[١]، و"دلَّه على الشيء يدله دلاً ودلالة فاندل: سدده إليه، ودللته فاندل ... قال أبو منصور: سمعت أعرابياً يقول لآخر أما تندل على الطريق؟ والدليل ما يستدل به. والدليل: الدال. وقد دله على الطريق يدله دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أعلى، وأنشد أبو عبيد: إني امرؤ بالطرق ذو دلالات، والدليل والدليلي: الذي يدلك ... ودللت بهذا الطريق: عرفته"[٢].

بتأمل التعريفات اللغوية السابقة يتبين لنا أن الدلالة –في حدها اللغوي–تدور في فلك الإرشاد وتوجيه الذهن نحو مدلول معين، وهي الغاية التي يكون منها إنتاج الخطاب، فبلا شك إذا كان الرمز سواء أكان لغويا أم غير لغوي لا يحمل إرشادا أو توجيهاً أو دلالة معينة (محتوى قضويا) إلى مستقبل الخطاب ففي هذه الحالة يتجرد هذا الرمز من قيمته الاجتماعية، لذا فمن الضرورة أن يكون حال إطلاق اللفظ تُفهم منه دلالة معينة، كأن تحمل بعض الكلمات دلالات وإرشادات وتوجيهات خاصّة.

الدلالة في الاصطلاح: إن علم الدلالة هو أحد فروع علم اللغة، أو قل هو الفرع الأساس لعلم اللغة، الذي ترد إليه سائر الفروع الأخرى، وتنتهي إليه سائر مستويات اللغة ليكون هذا المستوى –الدلالي–هو المستوى الجامع لسائر المستويات اللغوية؛ وهو "ينهض على دراسة المعنى، أو دراسة دلالة الوحدات المعجمية. ولذا عُرِّف بأنَّه علمُ دراسة المعنى، كما عُرِّف أيضًا بأنه العلم الذي يهتم بدراسة

---

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، مادة (دلَّ)، ج٢/ ص٢٥٩.

(٢)ابن منظور ، لسان العرب، مادة (د.ل.ل) ص٢٤٧.

الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى"[1]، ومن ثم فهو أحد فروع علم الرموز؛ لذا فإن هذا التعريف يستلزم أن يكون موضوعُ علم الدلالة كُلَّ شيء يقوم بدَوْرِ العلامة أو الرمز، سواء أكانت العلامة لغوية أم غير لغوية

يعود وجود الرمز في علم اللغة إلى تعريف اللغة نفسها؛ حيث إن "أعم تعريف للغة هو أنها نظام من العلامات، ويقصد بالعلامات هذه الرموز التي تستخدم في خلق اتصال بين شخص وآخر"[2]. فالمقصود بالرمز هو كلمات اللغة التي تم التواضع عليها لتعبر عن الصورة الموجودة في الذهن لشيء ما موجود في العالم الخارجي؛ وذلك راجع إلى أن "اللغة المتكلمة تعتمد ... على الاصطلاح، والاتفاق الجماعي، مهما قل عدد أفراد الجماعة اللغوية. وهذا يضع اللغة حتما في قائمة الرموز، مثل عملة النقد الورقية، التي ترمز إلى قيمة شرائية معينة، وتعتمد في قيمتها على العرف والاتفاق بين أفراد المجتمع، لا على قيمتها الذاتية"[3].

إذن علم الدلالة هو العلم الذي يُعنى بدراسة المعنى وبدراسة العلاقة بين الرمز والمسمى، فهو يبحث في العلاقة بين الرموز في العالم الخارجي وبين مسمياتها، وهو يبحث كذلك في كيفية دلالة الكلمات على معانيها أو الصلة بين اللفظ وصورته في الذهن، ومن هنا يكمن التعقيد في دراسة المعنى؛ لأنه يبحث في العلاقة بين اللغة أو الرمز وكل ما يحيط بها من عوامل وظروف خارجية عنها، فدراسة المعنى لا تقف عند دراسة اللفظ فقط ولكن تتعداها إلى دراسة التراكيب ودلالة هذه التراكيب.

([1]) فوزي عيسى ورانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط.١، ٢٠١١م ، ص ١٣- ١٤.

([2]) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د-ت، ص٥٠.

([3]) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص٢٠٩.

إن الدرس الدلالي درس شامل لا يقتصر فقط على المستوى اللغوي بل يتعداه إلى دراسة كل رمز يؤدي دلالة أو معنى معينا سواء أكان هذا الرمز لغويا أم غير لغوي مثل الحركات والهيئات والصور والألوان وغير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة معينة وذلك من خلال التواصل الاجتماعي.

إن الهدف الأسمى لعلم الدلالة هو دراسة كيف يحقِّق التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة الوضوح في فهم المعنى وذلك من خلال تداول هذه الدلالات من خلال الرموز اللغوية أو حتى غير اللغوية، فلو لم يتم تداول هذه الدلالات والمعاني بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة لن يتم التواصل بينهم بشكل تام.

إذن تداول الرمز وتداول معناه شرط أساسي وشرط صحة في إقامة التواصل الاجتماعي، وهذا الأمر يقودنا إلى رأي أحد الباحثين وهو ستيفن أولمان والذي يرى أنّ "هناك تقسيمين رئيسين لعلم الدلالة، أحدهما يهتم بالبناء الدلالي للكلمات المفردة، أو بما يسمى بعلم الدلالة المصغر (Micro semantics)، وهو يختص بدراسة الكلمات المنفردة ومعرفة أصولها وتطورها التاريخي ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها، فهذا الفرع من علم الدلالة يهتم بدلالة اللفظ المفرد غض النظر عن العلاقات بين الكلمات في الجملة الواحدة. أما الفرع الآخر وهو الذي يهتم بدراسة العلاقات بين الكلمات ويطلق عليه اسم علم الدلالة الموسع (Macro semantics)، وهذا الفرع يهتم بدراسة الكلمات ومعانيها وما يربط بينها من علاقات في إطار الجملة، وهو قد يلتقي في كثير من جوانبه بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني"[1].

إن الحديث السابق عن الدلالة في حدها الطبيعي المعروف هو المعنى الذي تؤدي إليه الكلمات في حالتها المفردة أو في حالتها التركيبية حين تدخل في بناء تركيبي في الجمل والنصوص، ثم الحديث عن الرمز؛

(1) ماريو باي، أسس علم اللغة ، ترجمة: د.أحمد مختار عمر ، ط.٨، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م، ص٤٤.

يبين أن الرمز قد يكون هو الدلالة في صورتها المتمثلة في العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول، وقد يكون فيه نوع من القصدية في إنشاء الارتباط بين الملفوظ والإحالة إلى المعنى في الواقع الخارجي/الخارج تلفظي. وبالتالي لا بد من التمييز بين الدلالة والرمز؛ "والدليل العملي الحاسم الذي يسمح بأن نميز بين الدلالة والرمز هو أن نفحص عنصرين تجمعهما علاقة ما، ففي الدلالة تكون هذه العناصر –بالضرورة–من طبيعة مختلفة، بينما في الرمز وجب أن تكون منسجمة ... إذ الدال والمدلول كلاهما من طبيعة مغايرة، ولا يعقل أن تكون سلسلة متوالية من الخط أو الأصوات تشبه في شيء المعنى. وفي ذات الوقت تكون هذه العلاقة ضرورية على معنى أن المدلول لا يمكن أن يوجد بدون الدال وبالعكس. ومن ناحية أخرى فيما يخص الرمز تكون علاقة الشيء "الرامز" والشيء "المرموز إليه" (كما هو الحال في مدلولات النار والحب) يوجدان مستقلين بعضهما عن بعض. ولهذا السبب عينه؛ فإن العلاقة لا يمكن أن تكون إلا معللة؛ وإلا فما الذي يؤدي إلى قيامها؟!"[1].

إن وجود الاعتباط بين الدال والمدلول في الدلالة المعجمية، وانتفاء هذا الاعتباط وحلول القصدية محلها في الدلالة التواضعية جعل اهتمام الباحثين اللغويين المهتمين بدراسة الدلالة ينصرف إلى دراسة العلامة اللغوية ودلالتها، أو ما يعرف بالسيميائية.

٣–السيميائية

جاء في لسان العرب "السومة والسيماء والسيمياء: العلامة، وسوم الفرس: جعل عليه السيمة، وقوله عز وجل: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾[2]؛ قال الزجاج: روى الحسن أنها معلمة ببياض وحمرة، وقال غيره: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أنها مما عذب الله بها؛ الجوهري:

---

(1) أزولد وتزيفان، الدلالة والمرجع دراسة معجمية، ضمن كتاب: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة وتعليق: عبد القادر قنيبي، بيروت: أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، ص٢٨.

(2) سورة الذاريات، آية ٣٤.

السومة بالضم العلامة، تجعل على الشاة وفي الحرب أيضا، تقول منه تسوم. قال أبوبكر: قولهم عليه سيما حسنة معناه علامة... والخيل: المسومة هي التي عليها السمة والسومة وهي العلامة. وقال ابن الأعرابي: السيم العلامات على صوف الغنم. وقال تعالى: من الملائكة مسومين؛ قرئ بفتح الواو، أراد معلمين...وفي حديث الخوارج: سيماهم التحليق أي علامتهم، والأصل فيها الواو فقلبت لكسرة السين وتمد وتقصر، وقد يجئ السيماء والسيمياء ممدودين..."[1].

وقد ردت كلمة (سيما) وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم عدة مرات أيضًا بمعنى العلامة، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[2]، وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾[4]، وقد ذهب مفسرو القرآن إلى المعنى نفسه كما ورد في معاجم اللغة العربية، يقول الطبري: "السيما: العلامة يقال: هي سيما حسنة، وسيمياء حسنة، كما قال الشاعر: (الطويل)

غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالحُسْنِ يَافِعًا ... لَهُ سِيمِياءُ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ

يعني بذلك: علامة من حسن، فإذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها في حرب أو غيره قيل: "سوَّم نفسه فهو يسوِّمها تسويمًا"[5].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (س.و.م) ص٣١٢.

[2] سورة البقرة، آية ٢٧٣.

[3] سورة الفتح، آية ٢٩.

[4] سورة محمد، آية ٣٠.

[5] الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٥٩٥/٥.

وقد فسر بعض المفسرين السيمياء بقوله: "السِّيمَاءُ والسِّيمِيَاءُ: العلامة... وقد سَوَّمْتُهُ أي: أعلمته، وقوله عزّ وجلّ في الملائكة:مُسَوِّمِينَ أي:معلّمين ومُسَوِّمِينَ معلّمين لأنفسهم أو لخيولهم،أو مرسلين لها [1].

من خلال الحديث عن مصطلح السيمياء في اللغة يتبين لنا أن المعنى اللغوي للسيما والسيمة والسيمياء هو العلامة، وأن "كلمة سيمياء عربية أصلية، مشتقة من الفعل سام الذي هو مقلوب وسم وأصلها وسمى، وزنها فعلى، وهي في الصورة فعلى، يدل على ذلك قولهم: سمة، فإن أصلها: وسمة، ويقولون، سيمى بالقصر، وسيماء بالمد، وسيمياء بزيادة الباء وبالمد، ويقولون: سوم إذا جعل سمة، وكأنهم إنما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصل إلى التخفيف لهذه الأوزان، لأن قلب عين الكلمة مئات بخلاف فائها، ولم يسمع من كلامهم فعل مجرد من سوم المقلوب وانما سمع منهم فعل مضاعف في قولهم: سوم فرسة، أي جعل عليها السيمة، وقيل الخيل المسومة هي التي عليها السيمة والسومة، وهي العلامة"[2].

أمّا من الناحية الاصطلاحية فقد وردت عدة تعريفات للسيميائية، إذ عرفت بأنها "العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، وأنظمة والإشارات والتعليمات..."[3]. وإن كان التعريف السابق رأى أن السيمياء "علم" فقد اتفق معه تعريف آخر عرفها بأنها ((علم يدرس أنساق الإشارات، لغات أنماط إشارات المرور إلى آخره وهذا التعريف يجعل اللغة جزءاً من العلامة"[4].

---

[1] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن المحقق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، الطبعة: الأولى -١٤١٢ هـ، ص ٤٣٨.

[2] بلقاسم دفة، علم السيمياء والعنوان في النص الادبي، محاضرات المتلقي الوطني الاول، السيمياء والنص الادبي، جامعة محمد خضير، بسكرة، ٢٠٠٠، ص٣٣.

[3] أنور المرتجى، سيميائية النص الأدبي، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط١ ١٩٨٧م ص ٣.

[4] بلقاسم، دفه، علم السيمياء والعنوان في النص الادبي، ص٣٤.

إن تعريف السيمياء بأنها علم لا يعني خضوعها لصرامة القواعد العلمية، ولا يعني أنها نسق مغلق مكتف بذاته؛ بل يعرف بنكراد السيميائية بأنها دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، ويقول بأنها تدريب العين على التقاط الضمني والمتواري والمتمنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التعبير عن مكنونات المتن"[١].

ومن تعريفات السيمياء تعريف كل من ميجان الرويلي وسعد اليازعي في كتابهما دليل الناقد الأدبي بقولهما "السيميولوجيا لدى دارسيها تعني علم أو دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة، ويفضل الأوربيون مفردة السيمولوجيا التزاماً منهم بالتسمية السوسيرية أما الأمريكيون فيفضلون السيميوطيقا التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرس بيرس"[٢].

من خلال تعريف السيمياء يتبين لنا أن السيميائية هي العلم الذي يبحث في النصوص الأدبية وغيرها، بهدف الكشف عن أنظمة العلامات فيها، والبحث عن الدلالات السطحية والعميقة لتلك العلامات، فـ"التحليل السيميائي يقدم لنا فرصة ذهبية لكي نمارس تدريبا منهجيا ممتازا يهدف إلى فهم كل المستويات اللغوية التي يتشكل منها المعنى أو يتكون من خلالها"[٣].

إن السيميائية تتعامل مع الظواهر الأدبية، باعتبارها علامات، وإشارات، ورموزا، وأيقونات، واستعارات، ومخططات وتحليلها وتأويلها بمراعاة ثلاثة مستويات منهجية سيميائية يمكن حصرها في: البنية، والدلالة، والوظيفة.

---

[١] محمود، حسن الاستاذ، استراتيجية مقترحة في تنمية تجليات ابداعية وفضاءات دلالية، فلسطين، جامعة الاقصى، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، ٢٠٠٧، ص١٢.

[٢] ميجان الرويلي، سعد اليازعي، دليل الناقد الأدبي، بيروت – الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص ١٧٧.

[٣] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م، ص ٣٤ وما بعدها.

ولمعرفة كيفية الإفادة من السيمياء في تحليل النص لاستجلاء دلالاته واستنباط معطياته؛ فإنه لا بد أن نمر على الأصل الذي انبنت السيمياء من كتاباته ونعرض تعريفه للعلامة، وهو العالم اللغوي فرديناند دي سوسير.

يعرف دي سوسير العلامة بأنها: "كنه أو ماهية قابلة للإدراك بالنسبة لمجموعة محددة من مستعمليها، وأنها في حد ذاتها ناقصة المعنى تماما إذا أدركها أحد من غير هذه المجموعة. وقد وصف سوسير ذلك العنصر القابل للإدراك في العلامة بأنه الدال، كما وصف العنصر الغائب عن العلامة نفسها والذي تشير إليه بأنه الفحوى أو المؤدي. أما العلاقة القائمة بين العنصرين فقد سماها بالمدلول. وقد ألح على ضرورة التمييز بين الإشارة والرمز، وبين المدلول والاستحضار الذهني الذي إن هو إلا مثول صورة ذهنية في عقل مستعمل العلامة"[1].

إذن البداية الأولى للسيمياء وهي العلامة هي عبارة عن مكون لغوي من كل من الدال والمدلول الذي هو صورة الدال في الذهن، والعلامة بمكونيها هذين تحيل على الفحوى أو المؤدي وهو الشيء الذي تشير إليه العلامة في الواقع الخارجي.

إن الجماعة اللغوية حين تتواضع على تسمية شيء ما بمسمى معين فإن هذا المسمى يعتبر رمزا للتعبير عن الصورة الموجودة في الذهن لذلك الشيء الذي سمي بهذا المسمى؛ والعلاقة بين هذا الرمز الذي وضع لتسمية الشيء (الدال) وبين الشيء الموضوع الدال رمزا له (المدلول) علاقة اعتباطية؛ لكن ليس الاعتباط دائما هو الذي يحكم الرموز اللغوية؛ فالرمز اللغوي نوعان؛ "الرمز الاصطلاحي، وهي إشارات اصطلح عليها كالألفاظ باعتبارها رموزاً لدلالتها. والرمز الإنشائي: وهي نوع من الرموز لم يصطلح عليها،

([1]) انظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص٤٢. مع ملاحظة أن المؤلفين يسميان العلامة "الإشارة"، لكني آثرت أن أستبدل العلامة بالإشارة عند النقل جريا على السائد بين اللغويين والنقاد في ترجمة المصطلح.

تحمل نوعًا من الابتكار والجدّة مثال ذلك الرجل الأعمي توضح له مثلاً اللون الأحمر بأنه يشابه نفير البوق"[1]

فالأول يقوم علي المواضعة والاعتباط؛ والثاني يقوم على القصد والإنشاء؛ "وقد اتفق علماء اللغة المحدثون على التمييز بين الرمز أو العلامة، فالرمز عندهم يتميز بصلاحيته للاستعمال في أغراض مختلفة، وتلعب العوامل النفسية بلا شك دورا هاما في تحديد دلالته، فالصليب مثلا، وهو رمز المسيحية، قد يوحي بانفعالات وتأويلات مختلفة حسب اتجاهات الناس نحو المسيحية نفسها، فهو لا يجد لدى اليهودي أو البوذي نفس الصدى الذي يجده لدى المسيحي. كما إن الرمز يشمل كل أنواع المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة بما فيها من علاقات دلالية بين الأشياء. أما العلامة فليس فيها سوى دلالة واحدة لا تقبل التنويع ولا يمكن أن تختلف من شخص لآخر ما دام المجتمع قد تواضع على دلالتها، فالمصباح الأحمر في الطريق تعارَفَ الناس على أنه إشارة إلى معنى (قف)، وليس له معنى آخر، أما إذا علِّق على باب بيت في بعض المجتمعات فيدل على أنه بيت دعارة، وبرغم اختلاف معناه باختلاف المكان الذي يوجد فيه إلا أنه في مكان على حدة لا يعني سوى أمر واحد"[2].

إن اتّفاق علماء اللغة على التمييز بين الرمز والعلامة دال على أن الاعتباط لا يقع بين الدال والمدلول ولكنه يقع بين العلامة التي تتكون من كل من الدال والمدلول وبين الفحوى الذي تشير إليه العلامة في عالم الأشياء الخارجي، والعلامة التي هي أساس فكرة السيميولوجيا إذن رمز لغوي يتكون من دال هو الملفوظ ومدلول هو حاصل صورة الملفوظ في الذهن، ولا بد للعلامة في تكونها من الدال والمدلول أن تحيل على شيء خارجي؛ مما يجعل الدراسة السيميولوجية بالأساس ترتكز على دراسة العلامة وتعبيرها عن

---

[1] محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة: دار المعارف، ط.٣، ١٩٨٤م، ص ٣٤-٣٥.

[2] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص١٨١.

الجوانب الموضوعية التي شغل الأديب بها نفسه وعبر عنها في أدبه، سواء وقفت الدراسة السيميولوجية عند العلامة أو تعدت ذلك إلى الرمز في استخدامه الأدبي، ذلك الرمز الذي يختلف عن العلامة كما سبق تبيينه؛ والتأصيل الأدبي نفسه للرمز يحيل إلى أهمية الربط بين الرمز وبين الموضوع الخارجي الذي يعبر عنه الرمز في عملية التأويل التي يقوم بها الناقد.

إن الحاجة إلى الرمز تكون نتيجة لبعض الأسباب الاجتماعية في ارتباطها بالناحية الفنية؛ وحينها يلجأ الأديب إلي الرمز حين تعجز الأساليب الصريحة والواقعة عن تعميق أثر الفكرة الأدبية الشعورية وإمكان إدراك المتلقي لها بصورتها الدلالية غير المقيدة بحدود الإشارة الحدية التي تعمق اندماج العمل الأدبي في نظامه الإيحائي الذي هو أصل فيه والمبدع الحق من يجيد استنباط الرمز المناسب وتوظيفه ضمن النسيج الكلي لنتاجه، ومادامت الحاجة قائمة لاكتشاف الرمز وتوظيفه فإنها تدعو كذلك إلي تكرار الرمز الواحد لإغنائه ومنحه مزيدًا من القدرة على التأثير بإعطائه دلالات جديدة يحيل إليها الرمز في الجانب الموضوعي.

إن برنار توسان في إجابته عن سؤال " ما هي السيميولوجيا؟" الذي أفرد له كتابا كاملا، انطلق من قول فرديناند دي سوسير: "يمكننا إذن أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية"[1]. وخلص في نهاية كتابه إلى أنه "يمكننا القول بإيجاز أن اللسانيات والسيميولوجيا تتموضع في المستوى البسيط من الإرسالية (والفعل الراجع feed-back)، وبعدها -على المستوى الشعوري للشخص المرسل والشخص المستقبل- يتدخل علم النفس (علم النفس الاجتماعي)، اللاشعور هو مجمل الخطاب التحليل-نفسي، ومجموع الظاهرة المسماة تواصل هي من اختصاص علم الاجتماع، الذي من الأفضل أن يهتم بجميع مستويات البحث المطروحة))[2].

([1]) برنار توسان، ما هي السيميولوجيا؟ ترجمة محمد نظيف، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط.٣، ٢٠٠٠م، ص٩.

([2]) المرجع نفسه، ص٩٨.

وكلام برنار توسان هذا يعني أن السيميولوجيا تهتم بتحليل الخطاب في إطار العلامة ومرجعيتها، سواء تلك المرجعية المتعلقة بالجانب السيكولوجي الخاص بالمرسل، والناحية السيكولوجية هنا يفسرها علم النفس الاجتماعي، أو المرجعية الاجتماعية التي تحكم عملية التواصل كلها من مرسل ورسالة (تفسر في ضوء العلامة ودلالتها على شيء يوافق الصورة الذهنية التي للمدلول) ومتلق.

وهذه الإحالة الخارجية تدفع إلى الموضوع الأساس الذي بصدده هذا البحث وهو التداولية؛ إذ "يعود مصطلح التداولية بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس الذي استخدمه سنة ١٩٣٨ دالا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمياء. هذه الفروع هي:

علم التراكيب: وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

علم الدلالة: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها.

التداولية: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها"[1]. وبالتالي فإن تعريف السيميائية والحديث عن مرجعيتها الاجتماعية وعلاقاتها التأويلية يقود مباشرة إلى الحديث عن التداولية وتعريفها.

٤-التداولية

جاء في اللسان "تداولنا الأمر: أخذناه بالدول. وقالوا: دواليك، أي مداولة على الأمر ... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، ومنه قول الجاحظ: يوشك أن تُدال الأرض منا كما أُدِلنا منها، أي يجعل لها الكرة والدولة علينا، فتأكل لحومنا كما أكلنا ثمارها، وتشرب دماءنا كما شربنا مياهها. ويُقال:

(١) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص٩.

تداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة. وجاء في الوسيط (دَالَ) الدهر–دَولا، ودولةً: انتقل من حال إلى حال، والأيام: دارت. ويقال دالت الأيام بكذا، ودالت له الدولة"[1].

إن المعنى اللغوي يدل على أن الدلالة التداولية في –أصلها اللغوي –تعني الانتقال بين الأطراف المختلفة، فكل ما انتقل من حيازة إلى أخرى أو من بيئة إلى أخرى أو من يد إلى أخرى فهو متداول، ولو انتقلنا إلى التعريف الاصطلاحي للتداولية لوجدناها تدل على المعنى نفسه، وذلك أن انتقال اللغة بين طرفي الكلام يجعل الدلالة تنبني على سياق العملية الكلامية بينهما.

إن التداولية هي أحد فروع علم اللغة الحديث وتهتم باللغة في بعدها الاستعمالي من حيث قصدية المتكلم ومراميه الإنجازية من وراء كلامه، والطابع الاستعمالي للغة مرتبط بوجود الكلام والكلمات ابتداء، وهو يتوازى مع الدلالة المعجمية للغة؛ حيث "إن الكلمة في المعجم صورة صامتة مفردة في ذهن المجتمع، أو صورة كتابية مفردة، وحين يلتقطها المتكلم يحولها من الصورة الحسية (سمعيا وبصريا)، من الإفراد (وهو طابع المعجم) إلى السياق الاستعمالي (وهو طابع الكلام)، وذلك عندما يحرك بها لسانه ناطقا أو يده كاتبا"[2].

إن المتكلم بعد أن يقوم بعملية التلفظ، أو بعد أن يقوم الكاتب بعملية الكتابة فإن الخطاب الصادر عنه يمثل عملية إخبارية لمعنى معين يريد أن يوصله وأن يخبر به المتلقي؛ و"انطلاقا من تأمل الإخبارات وعلاقتها بالواقع أو بالصدق، أتى أوستين بمفهوم جديد يتمثل في "الإنشائي" (performative) أو "القول الإنشائي". فمن جهة أولى يطور وجهة نظر تعنى بقول الرسالة ولا تقتصر على مضمونها ... ومن جهة أخرى فإنه يحاول التحقق من نجاعة معايير الصدق والكذب المطبقة تقليديا على الأقوال ... إن هذه الأقوال الإنشائية تعود إلى فعل شيء ما فقط بمجرد التلفظ بها، بشرط توفر

([1]) ابن منظور، لسان العرب،مادة (د.و.ل) ص٢٥٢.

([2]) كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، القاهرة: دار غريب، د–ت، الجزء الأول، ص٧.

شروط نجاح معينة، وهي لا تصف أعمالا بل هي في حد ذاتها أعمال"[1]. وهذا هو ما يعرف بالدلالة الإنجازية للقول وللأفعال اللغوية.

ويعد مفهوم الأفعال الإنجازية محوريا في ميدان الأفعال اللغوية. على الرغم من الاختلاف في تحديد مفهوم الأفعال اللغوية، إلا أن هناك جملة من المعاني التي لقيت قبولا، ومن بينها التالي: الوعد، والطلب. يأتي مفهوم الأفعال الإنجازية رديفا للأفعال اللغوية بشكل عام، وهو الأمر الذي أشار إليه جون سيرل، موافقا في ذلك جون أوستين المؤسس الأول لهذه النظرية، في كتابه "كيف تصنع الأشياء من خلال الكلمات".

وتقوم فكرة الدلالة الإنجازية على فكرة أن دلالة اللغة في جانبها الاستعمالي تختلف عن الدلالة التواضعية المعجمية للمفردات اللغوية، فالمتكلم حين يتلفظ بالجمل أو حين يكتب هذه الجمل فإنه يدخلها في استعمالات سياقية بحيث يحقق له الخطاب اللغوي أغراضه التي من أجلها تم إنشاء هذا الخطاب؛ ذلك أنّه ثمة "تميز في صلب الفعل اللغوي ما بين مكونين اثنين: محتواه اللغوي المصوغ في جمل وقوته الإنشائية"[2].

أصناف الأفعال الكلامية:

لقد حاول أوستين ((تصنيف الأفعال الكلامية في زمر يراها وظيفية، وهي:

- الأفعال الدالة على الحكم: التبرئة، الحكم، التقدير، التحليل ...
- أفعال الممارسة: الانتخاب، التعيين، الاستشارة، الترشيح...

([1]) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى قوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، اللاذقية–سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط.١، ٢٠٠٧م، ص٥٣، ٥٤.

([2]) دومينيك مانجونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط.١ ا، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٨م، ص٨.

- أفعال الوعد: الرهان، التعهد، الضمان...
- الأفعال السلوكية: الاعتذار، التهنئة، التعزية، الشكر...
- أفعال العرض: الإثبات، التأكيد، النفي، الوصف، التعريف، التأويل...))[1].

وهذه التقسيمات للأفعال الكلامية ليست تقسيمات ذات حدود صارمة، وإنما هي تقسيمات غير منضبطة الحدود، وغير ملزمة الفواصل؛ وذلك أن اختلاف السياقات قد يجعل الفعل الواحد يدخل في أكثر من زمرة من هذه الزمر، ولذلك لكي يلائم الفعل معنى إنجازيا معينا من هذه المعاني؛ فإن فان دايك طور كلام أوستين ولم يجعل الدلالة الإنجازية للفعل وقفا على الجملة، وإنما جعل الفعل الكلامي ودلالته الإنجازية يتعديان الجملة إلى النص.

لقد سمى فان دايك توالي الأفعال الكلامية في نص واحد بـ"أفعال الكلام الكبرى" ويعني بهذا المصطلح "فعل الكلام الإجمالي الذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي، والذي تنجزه سلسلة من أفعال الكلام المختلفة التي تفسر بأنها فعل كلامي واحد إذا كانت تشير إلى مقصد إجمالي واحد؛ ويمكن لهذا الفعل – على مستوى أعلى- أن يكون نتيجة لأفعال كلامية أخرى ... فالنص إذن هو مجموعة من الأفعال الكلامية؛ التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي، ومتلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بتغير مضمون الرسالة، وموقف اجتماعي يتحقق فيه التفاعل ... وبهذا تؤكد نظرية أفعال الكلام أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي في آن، فهناك أحداث كثيرة ننجزها من خلال نطق جملة ما أو نص ما"[2].

([1]) عمر بلخير، نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، من ٥ إلى ٧ فبراير، ٢٠٠٧م، ص٦٨.

([2]) محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، رسالة دكتوراه بقسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر، السنة الجامعية ١٤٣٤-١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص٤٣.

حينما نستعمل الأفعال الأدائية/الإنجازية/الإنشائية، فإننا نستعملها بشكل طبيعي واعتيادي للتواصل مع الآخرين. فقد يكون محتوى التواصل متوافقا أو قريبا من التوافق مع المعنى الذي نقصده في تواصلنا؛ مثال ذلك: حين يسأل شخص غريب "ما اسمك؟". ولكن الأمر قد يختلف في كثير من الأحيان، فلا تأتي العبارة بهذه المباشرة، كما في المثال التالي: بإمكاننا أن نطلب من أحد طلابنا أن يكف عن العبث، من خلال قولنا " يا أحمد!!"، فيكون هذا الخطاب لوحده دالا على ما نريد من نطقه.

وانطلاقا من هذا فإننا لا بد أن "نذكر بأن العناصر الأساسية التي تشكل سياق خطاب/نص ما هي: المتكلم، والمخاطب، والقناة، والمقام، والسنن، وجنس الرسالة، والحدث، والمقصد. . . لكن ليس من الضروري الاحتفاظ بكل هذه العناصر... يمكن الاكتفاء بما يلي: المتكلم، والمخاطب، والرسالة، والزمان، والمكان، ونوع الرسالة. . . من الضروري أن نعرف على الأقل من هو المتكلم، ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب. هذا هو المبدأ العام الذي يحدد أهمية ودور السياق في فهم وتأويل خطاب معين"[1].

وعملية فهم الخطاب وتأويله من وجهة نظر تداولية تعتمد على "علاقة ثلاثية هي: علاقة العلامات بغيرها من العلامات، وبما تمثل، وبمستعملها؛ فالكلام المتبادل بين طرفي عملية التواصل –بوصفه عملا ونشاطا وتطبيقا –من أجل تحقيق أهداف وغايات ومقاصد، هو قطب الرحى في الدراسات التداولية وعمودها الفقري"[2].

(١)محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص٢٩٧.

(٢) ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي نموذجا، رسالة دكتوراه بقسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، بتانة–الجزائر، ٢٠١٢م، ص٣٩.

٥-العرفانية

يهتم علم العرفنة بالعمليات المتعلقة بذهن الإنسان من فهم وإدراك ويرتبط بمجالات متعددة كعلوم النفس والحاسوبية والأنثروبولوجيا؛ ذلك أن هذه المجالات جميعها ترتبط فيما بينها بدراسة الذكاء الإنساني وقدرة الإنسان على تصنيف الأشياء الموجودة حوله في الواقع وفهمها، وسنتطرق في هذا البحث إلى جملة مصطلحات في علم العرفنة؛ بداية من علم النفس العرفني، ثم علاقة العرفنة بعلم اللغة، والدلالة العرفانية، وانتهاء بالعلاقة بين العرفنة والتداولية وصولا إلى المقاربة التداولية والعرفانية.

يقوم علم النفس العرفني على دراسة الجوانب الذهنية والعقلية والإدراكية بوصفها ملكات فكرية في العقل والنفس البشريين، بمعزل عن المدرسة السلوكية في علم النفس، "ومجال الدراسة في علم النفس العرفني عمليات العرفنة وأبنيتها من قبيل الإدراك والانتباه والذاكرة واللغة والقصد والنشاط الفكري واللغوي، وما إلى ذلك من مباحث تهم الانفعال والشخصية وغيرها مما له تفاعل مع سائر الملكات العرفنية"[1].

إن علم الدلالة —وخاصة الدلالة التداولية– يعتبر الجسر الواصل بين العرفنة والعلوم اللغوية، ويستتبع هذا الربط بين العرفنة والدلالة التداولية أن نضع أيدينا على مجموعة من مبادئ العرفنة في زيها اللغوي؛ "أولها أن مفهوم الفرد —الذي غالبا ما يُعتبَر بدهية منطقية هو مركب معقد عرفانيا؛ حتى إن صنف الأفراد الذي ينبغي أن تتضمنه كل من النظرية الدلالية والعرفانية لا يحتوي على أشياء فقط، ولكن أيضا على كيانات مثل الأماكن والمسالك والأحداث ... وثانيها أنه إذا كان لنظرية عرفانية ما القوة الصورية الكافية لتفسير المقولة غير اللغوية فإنها تكون قادرة كذلك على تفسير الاستدلال اللغوي الذي هو المجال التقليدي

(1) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، تونس، دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠، ص٢٤.

للنظرية الدلالية، وهو ما يعني أننا متى ما كنا ندرس علم دلالة اللغة الطبيعية فإننا ندرس —بالضرورة–بنية التفكير"[1].

إن دراسة بنية التفكير الذهني والعقلي في علاقتها بالدلالة اللغوية هو لب الدراسة التداولية للغة، وهذا "يتضمن أن لمعنى التصور الذهني (العقلي) علاقة جوهرية بين الفعل والخبرة؛ كأن نقول إذا كان كيت وكيت If such and such أنماط من الفعل يمكن القيام بها؛ فإن كيت وكيت أنماط من نتائج الخبرة نحصل عليها بالضرورة، وهذا ما سنعتبره لب القضية البراجماتية"[2]. وعليه فإن العرفانية يتم تناولها عمليا وضمنيا في الدراسة التداولية للغة وللنص وللخطاب الأدبي.

لقد تفرّعت اللسانيات العرفانية إلى عدّة نظريات باشرت المسألة اللغوية من زوايا مختلفة، فقد قدّم لانقاكر نظرية في النحو العرفاني حاول فيها تناول النظام اللغوي في جميع مستوياته المتعلّقة بالجملة وما دونها، واعتنى طالمي بالمفاهيم والتصورات في تكوّنها وانتظامها من خلال الوحدات المعجمية، وأضاف فوكونياي نظريته حول الأفضية الذهنية، واهتمّ لايكوف بالاستعارات المفهومية، ودرس الاستعارة بوصفها آلية ذهنيّة وبيّن أن مجال اشتغالها لا يقتصر على الكلام الأدبي بل نجده ساريا في جميع أنواع المخاطبات.

لقد تكاملت هذه الجهود والنظريات لبروز التيار العرفاني بوصفه تتويجا لتطوّر المباحث اللسانية السابقة من ناحية والتقاء بين علوم مختلفة تدرس الذكاء وتحاول تفسيره من زوايا نفسية واجتماعية ولغويّة. ولذلك يمكن القول أن السياق المعرفي الذي ظهرت فيه العرفانية يدلّ على أنّها نتاج لتراكمات معرفية بعضها في مجال الدراسات اللغوية، وبعضها الآخر من مجالات علمية مجاورة.

([1]) راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة: عبد الرازق بنور، مراجعة: مختار كريم، تونس: المركز الوطني للترجمة، ٢٠١٠م، ص٤٠.

([2]) تشارلز موريس، رواد الفلسفة البرجماتية، ترجمة: ابراهيم مصطفى إبراهيم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠١١م، ص٤٥.

خلاصة

يتّضح ممّا سبق أنّ الذي طوّر النظريات والمدارس اللسانية في الغرب إنّما يعود بالأساس إلى البحث في مسألة الدلالة ومحاولة الوقوف على منشئها وطريقة حدوثها، وقد تعدّدت التفسيرات واختلفت التأويلات باختلاف زوايا النظر وطرق المعالجة، فردّت الدلالة أحيانا إلى العلامة اللغوية في علاقتها بالمتلقّي وأحيانا إلى السياق التداولي الذي تلقى فيه، وأحيانا أخرى إلى طبيعة العمليات الذهنية والإدراكية التي تتّصل بتركيب الخطاب وفهمه.

ولعلّه لا يخفى على المتتبّع لنشأة المدارس والاتجاهات اللسانية في الغرب وتطوّرها إنّ الاتجاه العرفاني لم ينشأ من فراغ بل كان نتيجة حتمية للتطورات المعرفية السابقة له، فقد استفاد منظرو هذا الاتجاه من النظريات اللسانية والتداولية السابقة لهم، وحاولوا تفسير الدلالة بالتركيز على جوانب كانت مهملة عند سابقيهم.

وما من شكّ في أنّ البحث في العلاقات بين المدارس اللسانية المتلاحقة يمكن أن يضيء جوانب خارجية تخصّ نشأة التيّار العرفاني وتطوّره، ولكن الغوص في النظريات العرفانية وفهمها من الداخل يستدعي بالضرورة فهم شبكة المصطلحات والمفاهيم لبيان الأسس التي تقوم عليها تلك النظريات، وهذا ما سنخوض فيه في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

المصطلحات والمفاهيم

تمهيد

بعد أن خصّصنا الفصل الأوّل لتقديم المدارس والتيارات اللسانية التي مهّدت لظهور التيار العرفاني، وتوقّفنا في ذلك عند رؤوس المسائل النظرية، فعرّفنا بالمصطلحات العامة التي أطلقت على المقاربات المختلفة، مثل علم اللسانيات وعلم الدلالة والسيميائية والتداولية والعرفانية، فقد بات من الضروري استكمالا لمقتضيات التحديد النظري الانتقال من المسائل العامّة المختصرة في أسماء المذاهب اللسانية إلى القضايا التفصيلية التي تخصّ المبادئ النظرية لتلك المذاهب.

والمدخل إلى الخوض في القضايا النظرية التفصيلية يكون بتناول المفاهيم والمصطلحات، فالمصطلحات مفاتيح العلوم، والنظريات لا يمكن فهمها وإدراكها إلاّ من خلال البحث في الشبكات المفهومية التي تنبني عليها.

وللمصطلحات إضافة إلى قيمتها النظريّة في توضيح التصورات والمفاهيم التي تؤسس مضمون العلم قيمة إجرائية مباشرة، فهي غالبا ما تكتسب بعدا تطبيقيا وتتحوّل إلى آليات تعتمد في التحليل، ولذلك فإنّ الاهتمام بها وتوضيحها يخدم أغراض البحث من نواح مختلفة.

وليس من الممكن أن نتعرّض في هذا السياق إلى جميع المصطلحات المتعلّقة بالتيارات والمدارس اللسانية الحديثة، فهي تربو عن الحصر، وتستعصي عن التحديد، وإنّما سنختار المصطلحات الأساسية التي نقدّر أنها يمكن تضيء الخلفيات النظرية وتوضّحها، وسنوزّع هذه المصطلحات على ثلاث مجموعات هي: المصطلحات اللسانية، والمصطلحات التداولية والمصطلحات العرفانية.

أ– مصطلحات لسانية

اخترنا من مصطلحات اللسانيات البنيوية التوقّف عند مصطلحين أساسيين لأهمّيتهما في بيان التصوّر العامّ للغة من المنظور البنيوي وهما: النظام والبنية والشكل.

١–النظام

النظام لغة هو "الخيط الذي يُنظم به اللؤلؤ والخرز ونحوهما"[١].

أمّا في الاصطلاح اللغوي فإن النظام لا يخرج عن المعنى اللغوي، فثمة خيط ما، أو نسق ما تنتظم في إطاره الوحدات الجزئية للنظام الكلي؛ لتشكل نسقا كاملا، وعليه فإن النظام اللغوي يتألف "من مجموعة من "المعاني"، تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو "المباني" المعبرة عن هذه المعاني، ثم من طائفة من "العلاقات" التي تربط ربطًا إيجابيًّا، والفروق "القيم الخلافية" التي تربط سلبيًّا –بإيجاد المقابلات ذات الفائدة–بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني. معنى هذا أن النظام يتركب من دعائم ثلاث؛ وهي: مجموعة من المعاني، ومجموعة من المباني، وعلاقات إيجابية وسلبية بين مجموعة المعاني على حدة ومجموعة المباني على حدة"[٢].

وهذه العناصر الثلاثة تأتلف في تشكيل النظام اللغوي، ففي النظام اللغوي نجد "لكل رمز صوتي وظيفته في الكلمة، ولكل كلمة وظيفتها في العبارة أو الجملة، وينبغي الالتزام بالنسق المتّفق عليه في البيئة اللغوية الواحدة، وإلا فقد الرمز قدرته على النقل والإيحاء. وهذا النسق اللغوي يتضمن ترتيب الأصوات داخل الكلمة وترتيب الكلمات داخل الجملة. وهنا تكون مهمة الباحث في اللغة أن يتبين طبيعة هذه

---

(١) الحميري نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح. حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م، ج١٠/ ص٦٦٥٣.

(٢) محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى، بحث منشور في مجلة حوليات الجامعة التونسية، تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس، العدد السابع عشر، ١٩٧٩م، ص٢٠٢، ٢٠٣.

الرموز الصوتية والأنساق المختلفة التي تتّخذها لتكون الكلمات ثم عليه أن يتبين أيضا الأنماط المختلفة لترتيب هذه الكلمات لتكوّن الجمل المختلفة"[١].

إن وظيفة النظام اللغوي –في محصلته النهائية–هو صناعة الأنماط المختلفة للجمل، و"يقصد بالنمط التركيب اللغوي كالجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والأساليب التعبيرية كالنداء والاستفهام، والتعجيب، والإشارة، والنفي، والنهي، والبنى الصرفية كالتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، والأساليب البلاغية كالاستعارة والتشبيه، وما شابه ذلك"[٢].

إن النظام اللغوي في تأليفه من عناصر يصنع أنماطا للجمل والأساليب والكلام عامة، ولكل نمط من هذه الأنماط شكله وبنيته، وهذا ما يجرنا لتعريف هذين المصطلحين؛ البنية، والشكل.

٢–البنية والشكل:

إن الأنماط المختلفة للجمل والأساليب ليست عشوائية الترتيب والتنسيق، ولكنها تخضع لبنية تجمعها، والبنية هي "مجموعة القواعد النحوية التي على ضوئها يتمّ لناطق اللغة ربط المباني الصرفية بعضها ببعض في جمل ذات حدود وأنظمة ومعايير، وعلى ضوئها يستطيع أن يصرف المعنى الذي في نفسه بتحريك المباني الصرفية في الحد الذي تسمح به قواعد اللغة والنحو"[٣].

---

(١) محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ص١٣.

(٢) جميل عويضة، الأنماط اللغوية مفهومها وأهدافها وأساليب تدريسها، دائرة التربية والتعليم بالأنروا /اليونسكو، ٢٠٠١م، ص٤.

(٣) خليل أحمد عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ظ.١، ٢٠٠٤م، ص٢٩٣.

ومجموعة القواعد النحوية التي تشكل بنية اللغة، بحيث يتداخل معها النظام اللغوي بدعائمه الثلاثة في إنتاج النصوص والخطابات؛ هذه القواعد لا بد لها من خصائص عامة لكي تكون البنية سليمة وتكتسب صفة العموم لسائر متحدثي اللغة، وقد حصر جون بياجيه البنية في ثلاثة عناصر:

- الكلية: التي تحيل على التماسك الداخلي للعناصر التي ينتظمها النسق.
- التحولات: التي تفيد أن البنية نظام من التحولات لا يعرف الثبات، فهي دائمة التحول والتغير وليست شكلا جامدا.
- الضبط الذاتي: الذي يتكفل بوقاية البنية وحفظها حفظا ذاتيا، ينطلق من داخل البنية لا من خارج حدودها.[1] .

وقد يبدو أنه ثمة تضاربا بين العنصرين الثاني والثالث من البنية، إذ كيف تكون البنية دائمة التحول، وفي الوقت نفسه تتمتع بالضبط الذاتي؟! والحقيقة أن حل تلك الإشكالية يكمن في معرفة أنه ثمة نوعين من البنية؛ إحداهما هي البنية العميقة، وهي منضبطة لا تتغير، وثانيهما هي البنية السطحية، والتي تعتبر بمثابة الشكل الذي تتجلى فيه البنية العميقة؛ ويمكن –بشكل مختصر أن نعرف البنية العميقة بأنها "هي التي تعبر عن الفكر، وهو المعنى الكامن في نفس المتكلم، أما البنية السطحية فهي الكلمات التي ينطق بها المتكلم ليعبر بها عن المعنى الموجود في الذهن"[2].

---

(1) يوسف وغليسي، البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية بحث في النسبة اللغوية والإصلاح النقدي، مجلة الدراسات اللغوية، مجلة علمية لغوية متخصصة ومحكمة، تصدر عن مختبر الدراسات اللغوية بجامعة منتوري بقسنطينة بالجزائر، العدد٦، ١٤٣١هـ –٢٠١٠م، ص٢٦٦.

(2) عاطف فضل خليل، البنية اللغوية والنحوية وجدلية التأويل مثل من الأساليب النحوية منهج وتطبيق في تيسير الإعراب، بحث منشور في مجلة جامعة الأقصى، العدد الخاص ببحوث المؤتمر العلمي الأول (النص بين التحليل والتأويل والتلقي)، الجزء الأول، جمادى الأول ١٤٢٧هـ –يونيو ٢٠٠٦م، ص٣٤.

فالمعنى وهو في ذهن المتكلم هو فكرة تمثل هذه البنية العميقة، والتي بناء عليها ينضبط الكلام في شكل جمل وعبارات ينطقها المتكلم مشكلا بها البنية السطحية، والبنية السطحية تمثل شكل الأداء اللغوي؛ والذي "يتمثل في طريقة استعمال المتكلم للكفاية اللغوية، وهو الكلام والجمل المنتجة، وهو الوجه الظاهر والمنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة في اللغة"[1].

إذن البنية في مجملها هي القوانين التي تحكم عملية بناء الجمل والأنساق اللغوية، وتسمى البنية العميقة ما لم ينطق المتكلم، وإذا تكلم المتكلم وفق تلك القوانين فإنها البنية السطحية، وإذا نوَّع بين تلك القوانين وأشكال الجمل، أو خالف بعضها وقدم وأخر .. وهكذا؛ فإن هذا هو الشكل اللغوي أو الأداء اللغوي.

ب–مصطلحات تداولية

تقوم الدراسة التداولية – كما سبق بيانه–على دراسة المعاني المقاصدية للكلام، إذ إن التداولية "تدرس اللغة بِوصفها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد، وموجها إلى مخاطب محدد، بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدد"[2]. وهذا يعني أن من يدرس التداولية عليه أن يحيط بمعرفة هذه المصطلحات الثلاثة: المتكلم (أو المخاطِب) والسامع (أو المخاطَب) والمقام (أو السياقات الخارجية).

١–المقام

إن التداولية والدراسات التداولية تقوم –كما سبق بيانه– على معرفة أو محاولة التوصل للدلالة الإنجازية التي يريد المرسل أو المتكلم أن يوصلها إلى المتلقي من خلال إنشائه نصا أو من خلال تلفظه

([1])عاطف فضل خليل، البنية اللغوية والنحوية وجدلية التأويل مثل من الأساليب النحوية منهج وتطبيق في تيسير الإعراب، بحث منشور في مجلة جامعة الأقصى.

([2]) باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، تصدر عن جامعة محمد خضير، بسكره – الجزائر، العدد السابع، ٢٠١١، ص١٦٢.

والقيام بعملية التكلم، وهذه الدلالة الإنجازية ليست هي الدلالة الطبيعية المرتبطة بالمعنى المعجمي والتواضعي للكلمات المكونة للجمل، وإنما هي دلالة غير طبيعية ينشئوها المتكلم متفاعلة مع المقام من أجل توصيل غرضه من وراء عملية الكلام، و"يقوم مفهوم الدلالة غير الطبيعية على مقصد مزدوج: مقصد تبليغ محتوى، ومقصد تحقيق هذا المقصد نتيجة لتعرف المخاطَب عليه. وفي نفس هذا التوجه يميز سبربر وولسن بين مقصدين:

أولا: المقصد الإخباري: أي ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطَبه على معرفة معلومة معينة.

ثانيا: المقصد التواصلي: أي ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطَبه على معرفة مقصده الاخباري"[1]

وكلا المقصدين الإخباري والتواصلي مرتبط بالمقام، والمقام هو أحد شقي أو نوعي السياق؛ إذ إن "السياق ينقسم إلى قسمين؛ هما السياق اللغوي؛ والسياق غير اللغوي، الذي يعني كل ما يحيل على خارج النص أو ما حوله من مؤثرات بيئية (تاريخية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية، ونفسية ...) من الممكن أن تنعكس على النص فيصطبغ ببعض ألوانها؛ لذلك يسعى النقد التقليدي إلى أن يتخذ من السياق معولا مرجعيا يتكئ عليه في سبيل الولوج إلى أغوار النص وإضاءة جوانبه الداخلية"[2].

وليس الاهتمام بالمقام قصرا على النقد الحديث، وإنما هو مركز اهتمام البلاغيين قديما وحديثا، فالبلاغيون العرب أولوا المقام اهتماما كبيرا حتى جعلوا "من أخصِّ وظائف المنشئين التَّدَرُّبَ على اختيار أخفِّ الألفاظ استعمالاً ورَوْنَقًا، وتحسين أسلوب الخطاب واختيار ما يناسب المقام منها"[3].

([1]) آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ص٧٩.

([2]) فطومة لحمادي، السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير ببسكره بالجزائر، العددان الثاني والثالث، ٢٠٠٨، ص٥.

([3]) محمدالطاهرعاشور،أصول الإنشاءوالخطابة،تحقيق:ياسر بن محامدالمطيري،الرياض:مكتبةدارالمنهاج للنشروالتوزيع، ص٤٩.

والأمر نفسه في الاهتمام بالمقام ومركزيته في فهم مقاصد المتكلم ومضامين الخطاب ودلالته الإنجازية نجده عند اللغويين المحدثين الذين وجهوا اهتماما متزايدا منذ السبعينات لدور المقام في فهم الجمل. ونجد لدى سيدوك تعبيرا عما يترتب عن هذا المقام بعين الاعتبار، حيث يقول: "هكذا يواجه دعاة علم المقاصد اللساني مشكلا منهجيا حادا، فلو سلمنا بوجود بعض أوجه لمدلول جملة ما في مقام ما فهل هذه الأوجه جزء من مدلول الجملة بحكم معناها؟ أم هل يجب أن نصل إليها بعد بحث يمكننا من استشفافها من بقية معنى الجملة والحقائق المتعلقة به ذات الصلة بالمقام؟"[1].

والإجابة عن السؤالين اللذين طرحهما سيدوك تتمثل في أن المقام وشروطه والبيئة التي ينتج فيها القول تمثل إطارا مرجعيا يعين المتلقي على فهم مقاصد الخطاب، سواء المقاصد الإخبارية أو المقاصد التواصلية، عن طريق مراعاة المستوى المقامي، وهو "ذلك المستوى الذي تحدد فيه شروط عقد التخاطب المطابق لنوع الخطاب، تلك الشروط التي تشمل غاية الفعل، وهوية المشاركين، والموضوعات الواجب معالجتها، والجهاز الفيزيائي للتبادل (الديكور، ووسيلة الاتصال ...)، ففي هذا المستوى تمارس القيود التي تسمح للاتصال/التبليغ بأن يكون فعلا لغويا ناجحا"[2].

إذن الفعل اللغوي الناجح يشكل خطابا ناجحا تتحقق مقاصده بمعرفة كل من المنشئ والمتلقي بالمقام؛ و"المقام ليس إطارا ولا قالبا، وإنما هو جملة الموقف الاجتماعي الذي يُعتبر (المتكلم) جزءا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم speech event، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل جوانب عملية الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ والجغرافيا

([1]) ج.ب. براون وج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير البعلبكي، منشورات النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ -١٩٩٤م، ص

([2]) دومينيك مانجونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٨م، ص١١٩.

والغايات والمقاصد ... أجد لفظ (المقام) أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث context of situation الذي يستعمله اللسانيون المحدثون))[1].

بناء على الكلام السابق لتمام حسان فإن المقام يمثل مجموعة سياقات الموقف، أو تلك الشروط الخارجية التي ليست من بنية الكلام، لكنها تتحكم في تحديد معناه ومعرفة مقاصد قائله واستجلاء مضامين الخطاب؛ أي إن "المقام هو مجموع شروط إنتاج القول، وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته. والقول هو وليد قصد معين، يستمد وجوده من شخصية المتكلم أو مستمعيه، واللحظة (الزمان) اللذين يحصل فيهما، وهذه العوامل كلها والمؤثرة على إنجاز القول هي التي تشكل المقام"[2].

إذن المقام هو مجموعة العوامل البيئية الخارجية التي تحيط بعملية القول، ولكن أيا كانت هذه العوامل المقامية فإن المقصد في النهاية يرتبط بشخص كل من المتكلم (المخاطِب) والسامع (المتلقي) أو (المخاطَب).

([1]) تمام حسان، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب "النحو – فقه اللغة – علم اللغة، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص٣٠٤.

([2]) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ص٤٤.

٢-المتكلم

إن النص في مفهوم التداوليين "هو فعل كلامي يحقق التفاعل والاتصال الاجتماعي، لذا يشترط تحويل الاهتمام المنصب على الكفاءة اللغوية للنص إلى الكفاءة التواصلية"[١]، ولتحقيق الكفاءة التواصلية لا بد من معرفة حال كل من منشئ النص ومتلقي النص ودورهما في تحقيق عملية التواصل.

إن اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهذا التعميم في كلمتي "كل" و"أغراض" يجعل التعريف متاحا ليشمل كل الوظائف التي قد تحققها اللغة لمتكلميها، "ورغم أهمية كل وظيفة، إلا أن للغة من المنظور التداولي وظيفتين رئيستين ترتبطان بمقاصد الإنسان الذي يستعملها وبوضعه الاجتماعي وأهدافه، فالناس حين يتحدثون لا يفعلون ذلك لمجرد تحريك أعضاء جهاز النطق، ولكن ليؤدوا من خلال كلامهم هاتين الوظيفتين: الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية. فالوظيفة التعاملية هي ما تقوم به اللغة من نقل ناجح للمعلومات ... أما الوظيفة التفاعلية فهي التي يقيم الناس بها علاقاتهم الاجتماعية، ويحققون لأنفسهم غاياتها"[٢].

إن الاستعمال المقاصدي للغة مبني بدءا على مقصد المتكلم فيما يود توجيهه إلى المستمع أو المتلقي، وهذه المقاصد يحكمها السياق، كما تحكمها عملية التلفظ، فحين ينطق المتكلم جملة ما؛ فإنه و"بشكل عام، تنطوي الجملة، إذا كانت على شكل موجّه تقريري أو أمري أو استفهامي أو تعجبي، على تحديد من نمط الفعل Act، تستخدم ملفوظيته لإنجازه، وإن استخدام الجملة التقريرية بشكلها هذا، يعني أن تفرض نفسك باعتبارك مقتنعاً بما تلفظ، وأنك تضع متحدثك في موقع يستحيل عليه فيه الرفض أو

---

(١) فهيمة لحلوحي، علم النص تحريات في دلالة النص وتداولهم، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكره، الجزائر، العددان العاشر والحادي عشر، ٢٠١٢م، ص٢٢٢.

(٢) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط.١، ٢٠٠٤م، ص٢ من المقدمة.

الإنكار، إلا إذا كان سيئ النية، وأنه قد أعلم سلفاً بقناعتك تلك، واستخدام جملة أمرية يعني أنك تفرض نفسك في موقع المالك لسلطة إعطاء الأمر وزعمك بأنك تضع المتحدث بين خيارين هما: إما الطاعة أو الرفض، الخ.

هذا الوصف الموجز يكفي لإيضاح أنه عند البحث عن تحديد شروط حقيقة (صحة) جملة ما من الصعب فصل قيمتها الوصفية عن القيم الملفوظية التي تقرها"[1].

إذن القيم الملفوظية المصاحبة لنطق المتكلم للجملة أو النص، وما يرتبط بها من شروط نجاح الفعل الكلامي، كل ذلك يعين على التحليل التداولي، ومعرفة معاني أفعال القول والدلالات المراد إنجازها من الكلام، وكما ينطبق هذا على المتكلم فإنه ينطبق على المستمع أو المتلقي.

٣-السامع

إن الشروط التي تحدد صحة القول بالنسبة للمتكلم هي الشروط نفسها التي تحدد صحة القول بالنسبة للمستمع، فمن القضايا الفلسفية التي تلقي التداولية الضوء عليها:

"١-الذاتية: فما الذي يتغير في مفهوم الفاعل إذن، حين ننظر إليه كمتكلم قبل كل شيء -وأكثر من هذا كمتحدث-حين نقارنه لا انطلاقا من الفكر بل انطلاقا من التواصل؟

٢-الغيرية: ويتم الإلمام بالقضية التي تخص الآخر انطلاقا من المخاطِب؛ فالآخر هو الذي أتكلم معه أو لا أتكلم معه، والذي أتموضع معه في مجتمع تواصلي"[2].

---

(١) جان سيرفون، الملفوظية، ترجمة: د. قاسم المقداد، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م، ص١٧.

(٢) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، الرباط: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م، ص١٠.

فما يختصّ بالمستمع من تفسير الكلام ينطلق ابتداء من المتكلم، فحتى الحالة الانفعالية للمتكلم تؤثر في تلقي المستمع للنص اللغوي أو الجمل المنطوقة المتلفظ بها؛ إذ "يحدد السياق العاطفي أيضا درجة الانفعال قوة وضعفا ... كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية، كأن تُنْطَق وكأنها تمثل معناها تمثيلا حقيقيا. ولا يخفي ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية"[1].

إنّ المستمع هو قسيم المتكلم في عملية التواصل، وفي تأويل النص اللغوي واستخراج دلالاته الإنجازية ومحتواه القضوي ومعرفة معاني أفعال الكلام فيه، ومن هنا استحدث التداوليون والمعنيون بدراسات تأويل الخطاب مصطلح المتلفظ المشارك، والذي يعنون به تضمين المتكلم للمستمع في عملية الخطاب، "يعود الفضل في استعمال هذا المصطلح إلى أ. كوليولي الذي أحله محل المرسل إليه؛ للدلالة على أن التلفظ هو في الواقع تلفظ مشترك، وأن الطرفين يلعبان في صلبه دورا نشطا، فعندما يتحدث المتلفظ فإن المتلفظ المشارك يبلغ هو الآخر، فهو يحاول أن يضع نفسه في موضع المتكلم لتأويل الملفوظات والتأثير عليه دوما بردة أفعاله ... من جهة أخرى إن كل متلفظ هو متلفظ مشارك لنفسه، الذي يراقب ويصحح ما يقول ... إن مفهوم المتلفظ المشارك يندرج في التصور التفاعلي للغة، الذي يرى بأن كل خطاب هو بناء جماعي"[2]، يتساوى الطرفان المرسل والمتلقي أو المتكلم والسامع في بناء أغراضه ومعرفة مقاصده ومراميه.

([1])أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ، ص٣٥٧.

([2]) دومينيك مانجونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص١٦، ١٧.

ج-مصطلحات عرفانية

يهتم علم العرفنة بالعمليات المتعلقة بذهن الإنسان من فهم وإدراك ويرتبط بمجالات متعددة كعلوم النفس والحاسوبية والأنثروبولوجيا، ذلك أن هذه المجالات جميعها ترتبط فيما بينها بدراسة الذكاء الإنساني وقدرة الإنسان على تصنيف الأشياء وفهم وجودها حوله في الواقع، وسنتطرق في هذا المبحث إلى جملة مصطلحات في علم العرفنة؛ وهي: المفهمة والتصور والإطار.

١-المفهمة

إن الذهن البشري حين يتعامل مع الأشياء والوقائع والأحداث اليومية يحاول أن يصنع لها مفاهيم ذهنية وتصورات تستطيع ترجمة هذه المفاهيم إلى إجراءات تمكنه من التعامل معه، و"يقصد بالمفهوم في علم النفس مجموعة من المثيرات التي تجمعها خصائص مشتركة، وقد تكون تلك المثيرات أشياء أو أحداثا أو أشخاصا"[١].

وعملية المفهمة هي عملية ترجمة تلك المفاهيم إلى شكل لغوي، إذ إننا "نعبّر عن تلك المفاهيم باللغة سواء في شكل مفردات وكلمات، أو في شكل صياغات لفظية تجمع عدة كلمات، وهي التركيبات اللغوية المعقدة، وهناك اختلاف بين المفهوم "مستقلا" في شكل كلمة، وبين المفهوم "مشتبكا" في شكل جملة، ذلك أن تركيب الكلمات يترتّب عليه مزج المفاهيم، ومن ثم تكتسب تلك المفاهيم التي تعبّر عنها الكلمات وظائف جدية، فدخول المفهوم في تركيب لغوي يجعله أكثر محدودية وتعيينا، بمعنى أن حدود المفهوم الجديد يمكن أن تضيق، لأن عملية الامتزاج بين المفاهيم يترتب عليها امتزاج الخصائص التي يحملها كل مفهوم على حدة، ومن ثم فإن تكوين مفهوم جديد مشترك، يجعل حدوده مختلفة؛ فمثلا مفهوم "منزل" مستقلا ومفهوم

(١) فرج عبد القادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيروت: دار النهضة العربية، د.ت، ص٤٢٤.

"جديد" مستقلا، يمكن مزجهما في مفهوم مشترك هو "منزل جديد" وهذا المفهوم المشترك ينطبق على ما صدق أقل في العالم الخارجي؛ فهو عدد يقل كثيرا عن كل مفهوم منهما على حدة"[1].

٢–التصور

يقوم التصور على الربط بين معطيات الواقع الخارجي وتمثيلها ذهنيا؛ إذ "لا بد من مستويات من التمثيل الذهني تكون فيها المعلومة التي تؤديها اللغة منسجمة والمعلومة الآتية من الأنظمة المحيطة؛ مثل الرؤية، والسماع غير اللغوي، والشم والشعور بالحركة، وهكذا. وإذا لم توجد هذه المستويات؛ يكون من المستحيل استعمال اللغة في الإخبار عن المدخلات الحسية. ولا نستطيع الحديث عما نرى ونسمع. وينبغي على نحو مماثل أن يوجد مستوى تكون فيه المعلومات اللسانية والمعلومات التي يحتمل أن ينقلها النظام الحركي منسجمتين؛ كي نتمكن من تمثيل قدرتنا على تنفيذ الأوامر والتعليمات"[2].

أكد الدارسون العرب في مجال اللغة والفلسفة على أهمية ربط الصورة الذهنية بالمعنى، فلدراسة المعنى لا بدّ أن تُدرس الصورة الذهنية، "فالمعنى مرتبط باللغة وألفاظها، ومرتبط أيضا بالسياق اللغوي الذي وضعت فيه الكلمة. وقد أسهب الأصوليون والفلاسفة في البحث عن المعنى وتحديد الأدوات اللازمة للتوصل لدلالات المفردات فدرسوا تَكوُّن المعنى في التصور الذهني والصيغة التي يقدمها المخاطِب للآخرين المتلقين للكلام"[3].

([1])فرج عبد القادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي،ص٤٢٤.

([2]) راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص٦٨.

([3]) سمير معلوف، الصورة الذهنية (دراسة في تصوُّر المعنى)، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الأول، ٢٠١٠، ص١١٥.

إن مفهوم التصور من المفاهيم المركزية عند دراسة اللغة من منطلق عرفاني، فلا بدّ من هذه البنية التصورية، "وفيها تكون المعلومات اللغوية والحسية والحركية متساوقة"[1].

٣-الإطار

انشغل علماء اللغة بمسألة المعاني والدلالة وأكدوا أهمية معرفة الإطار والسياق الذي يرد فيه الكلام لاستنباط المعنى المحدد الذي يقصده المخاطِب، ولا يقف تفسير الجملة على ما يحمّلها المتكلم من قيم وأغراض عند التلفظ بها؛ بل لا بد "لنجاح الفعل الكلامي من توفر مجموعة من عناصر السياق، تندرج في مفهوم شروط النجاح، وهي عوامل ترتبط بالحالة النفسية للمخاطبين، وبقدرة هؤلاء على تحقيق ما يتلفظون به، وكذا الأنماط القانونية التي تسمح بتحقيق أفعال دون أخرى"[2]. وكل هذه الشروط تعد بمثابة الإطار المرجعي للذهن في تفسير المعاني اللغوية للجمل المنطوقة والمكتوبة.

([1]) راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص٦٨.

([2]) عمر بلخير، نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ص٦٩.

خلاصة

أردنا في هذا الفصل الاقتصار على عدد محدود من المصطلحات التي اخترناها اختيارا وظيفيا، فقد كان مقصدنا إبراز أهمّ مظاهر الاختلاف بين اللسانيات البنيوية والتداولية والعرفانية ويمكننا من خلال المصطلحات المعروضة أن نخلص إلى أن التصوّر النظري للغة يختلف من اتجاه لساني إلى آخر.

فاللسانيات البنيوية تدرس اللغة دراسة وصفية موضوعية، إذ تعدّها نظاما من العلامات تحكمه قوانين محدّدة، وهي تنظر إلى اللغة في جانبها الشكلي المجرّد مستقلاّ عن منشئه وعن المعطيات الخارجية المحيطة بعملية التخاطب.

أمّا التوليدية فهي تخالف الفهم البنيوي الذي ضيّق اللغة باستبعاد العوامل الخارجية، وقد عملت التداولية على توسيع النظرة إلى اللغة باستحضار السياق والعناصر الخارجية المتعلّقة بأطراف التخاطب والمحتضنة للخطاب.

واستكمالا للمشروع التداولي المهتمّ بتفسير الدلالة انفتحت العرفانية على التصورات والعمليات الذهنية المتحكّمة في إنتاج الخطاب وتلقّيه. ومن الواضح اعتمادا على هذه المقارنة أن التفكير اللساني في الطور ما بعد البنيوي قد خلّص النظرة إلى اللغة من الحدود الشكلية الضيقة وانفتح على أبعادها التداولية والعرفانية، وكان الدافع الأساسي إلى ذلك الانفتاح كامنا في مسألة الدلالة تفسيرها يمثّل الهاجس الأوّل لعلماء اللغة.

الفصل الثالث

أسس المقاربة العرفانية للنص الأدبي

تمهيد

لا تكمن أهميّة التصورات النظرية في العلوم اللسانية في ذاتها بل في أبعادها الإجرائية والتطبيقية، ونجاعتها تقاس بقابليتها للتحوّل من تصوّرات مجرّدة إلى آليات منهجية تساعد على تحليل النصوص الخطاب وفهمهما، ولذلك فإنّنا بعد أن خصّصنا الفصلين الأوّل والثاني لتقديم العرفانية في علاقتها بباقي النظريات اللسانية ومن خلال مصطلحاتها ومفاهيمها فإنّنا نروم في هذا الفصل البحث في البعد المنهجي الذي تتحوّل معه المفاهيم النظرية إلى أدوات تحليلية.

ولإدراك هذا البعد المنهجي سنحاول استجلاء عنصرين أساسيين:

- يتمثّل الأوّل في بيان أهمّ التصوّرات التي تنظر من خلالها العرفانية إلى النصّ الأدبي فلتلك التصورات أهميّة خاصّة، فهي تمكّننا من ناحية أولى من استجلاء مظاهر الإضافة في فهم الظاهرة الأدبية من خلال المنظور التداولي العرفاني، وتساعدنا من ناحية أخرى على إبراز الأسس النظرية التي من شأنها أن تمدّ المحلّل بالأدوات التي يمكن اعتمادها في تحليل النصوص.
- ويتعلّق الثاني بالبحث في المداخل التي تباشر من خلالها العرفانية نصوص الأدب، فتلك المداخل هي حلقة الربط بين التصوّر النظري المجرّد الذي نجده في التصورات العامّة حول الظاهرة الأدبية والممارسة الإجرائية التطبيقية التي تتجسّد في تحليل النصوص.

أ–التصورات العرفانية حول الأدب

استفاد النصّ الأدبي من اللسانيات أيّما استفادة، فالنتائج التي حقّقتها المدارس اللسانية المختلفة في دراسة الظاهرة اللغوية سرعان ما وقع استخدامها لدراسة الظاهرة الأدبية وفهم قضاياها. ومن أبرز هذه المقاربات التي ظهر تأثيرها في الدراسات الأدبية المقاربة التداولية بكافة تياراتها الحجاجية والمنطقية والتخاطبية والتداولية والسياقية، حيث "إن التداولية الأدبية هي التواصل الأدبي والتعاون الفعلي بين المؤلف والمتلقي ودورهما في إنتاج النصوص الأدبية واستهلاكها عبر الآثار المترتبة عليها والوظائف التي تؤديها"[1]؛ وقد احتكمت المقاربة التداولية تصورات عديدة تتعلق بالنص والخطاب الأدبيين، وسنحاول التوقّف عند أهمّ هذه التصورات وتحليلها لأنها تمثّل المرتكزات النظرية الأساسية في دراسة الأدب.

١–من الجملة إلى النصّ

إنَّ اللسانيات تَعتَبر الجملة منطلقاً يتم من خلاله الدراسة والتحليل، سواء كان من منظور البنيوية مع فردينان دي سوسير أو من منظور التوليدية التحويلية مع نوام شومسكي. ولكن المقاربة التداولية جاءت لتتعدى مجرد دراسة الجملة وتحليلها إلى دراسة الخطاب والنص، وبشكل خاص مع اللسانيات الوظيفية ولسانيات النص كتلك التي في كتاب (النص والسياق) لفان ديك[2]، وكتاب (الاتساق في اللغة الإنجليزية) لهاليدي وحسن رقية. بالتالي يمكن القول إنَّ التداوليات قد قامت على النظر إلى الخطاب على أنَّه جملة نصية كبيرة يتم التعامل معها كما يتم التعامل مع الجملة النحوية القصيرة، على أن يكون هذا التعامل تعاملا تداوليا ينفذ إلى تحليل النص على أنه خطاب – سواء كان خطاباً كتابياً أو شفوياً – يستبدل فيه "السؤال القديم عند الشكلانية والبنيوية والنقد الجديد والأسلوبية "ماذا تعني هذه الجملة؟" وما تفعله هذه

---

(1) أحمد عدنان حمدي، التداولية الأدبية دراسة نقدية، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، لندن: مؤسسة السياب، ط.١، ٢٠١٢م، ص١٤٦.

(2) فان ديك، كتاب النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قينيني، الدار البيضاء، المغرب: أفريقيا الشرق، ، ط.١، ١٩٩٩م.

الجملة في الواقع أنها تحول دور القارئ من مستكشف المعنى أو الدلالة في النص إلى حدوثية المعنى؛ فالمعنى شيء يحدث للقارئ، وبمشاركته وبذاتيته وبراجماتيته التي تربط المعنى أو الكلمة بالسياق الذي وقع استعمال الكلمة فيه، أو بالمقام الذي نطقت به؛ منتقلا بالكلمة والمعنى من الأنموذج القاموسي إلى الأنموذج الموسوعي (السياق) وسلطة الجماعة المفسرة التي تعمل بوصفها ضابطا لتداولية واستعمال النص التي تتماهى مع ضوابط أخرى تساعد على الحد من استعمال القارئ وتطرفه"[1]. وتعطي للخطاب الأدبي مقصدية تتفاعل مع مقصدية الكاتب ودور المتلقي في استنباط المعنى من النص.

٢-أهميّة البعد التواصلي في النصّ الأدبي

إن الحديث عن كون النص الأدبي "خطابا" بالأساس يدفع إلى الحديث عن كون النص الأدبي حدثا تواصليا، يقوم على التواصل بين طرفين؛ الأول: المرسل وهو كاتب النص الأدبي ومؤلفه، والثاني المتلقي وهو قارئ النص الأدبي، وبذلك يكون النص الأدبي هو الخطاب المرسل بين الطرفين أو الرسالة اللغوية التي انتقلت بين الطرفين المتواصلين، فأحد تعريفات الخطاب أنه "تبادل أدلة بين ذات مرسلة وذات مستقبلة؛ حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى، وتقتضي العملية جوابا ضمنيا أو صريحا عما نتحدث عنه –الأشياء والكائنات– أو بعبارة أشمل "موضوعات العالم"، ويتطلب نجاح هذه العملية اشتراك المرسل والمرسل إليه في السنن حيث يتم الإسنان والاستنان على الوجه الأكمل كما أراد له المجتمع اللغوي"[2].

إذن الخطاب اللغوي يقوم على الجانب التواصلي، وكذلك النص الأدبي بوصفه خطابا يكون حدثا تواصليا، وعناصر العملية التواصلية كما حدّدها رومان جاكوبسون هي "المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل

([1]) محمود خليف الحياني، قصيدة النثر مقولة تداولية في مشروع الجماعة المفسرة، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، لندن: مؤسسة السياب، ط.١، ٢٠١٢م، ص٢٩٣.

([2]) عمر أوكان، اللغة والخطاب، الدار البيضاء وبيروت: إفريقيا الشرق، ٢٠١١م، ص٣٦.

إليه ووظيفته تأثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية وتواصلية، واللغة ووظيفتها وصفية تأويلية وتفسيرية ... أما هاليداي فيركز على ثلاث وظائف للغة؛ الوظيفة التمثيلية (الإحالة على العالم الداخلي والخارجي للذات المتكلمة)، والوظيفة التعالقية (اتخاذ دور من الأدوار الاجتماعية بالنسبة للمخاطب كدور المخبر، ودور السائل ودور الآمر)، والوظيفة النصية (تنظيم الخطاب حسب مقتضيات مقام إنجازه). وهذه الوظائف الثلاث مستقلة على الرغم من كونها تصب في وظيفة واحدة هي وظيفة التواصل"[1].

إن التداولية تدرس اللغة "انطلاقا من حقيقة استعمالاتها، فاللغة تتغير لأنها تشتغل؛ أي لأننا نحتاج إليها بغية التواصل"[2]، ومن هذا المنطلق فإن تغير المستوى اللغوي من الاستعمال العادي إلى المستوى الأدبي يكون لهدف تواصلي متعلق بالنص الأدبي، ويبدأ هذا الغرض التداولي من عنوان النص الأدبي نفسه.

بالتالي يمكن القول إن العنوان يحمل وظيفة مرجعية ترتكز على مضمون الرسالة، وإنَّ هذه الوظيفة موضوعية. كما يحمل العنوان وظيفة تعبيرية يتم من خلالها تحديد العلاقة القائمة بين المرسِل والرسالة، حيث تحتوي هذه الوظيفة على مشاعر وعواطف وإحساسات. كما أنَّ للعنوان وظيفة تأثيرية تقوم بتحريض المتلقي على قراءة الرسالة، وإثارة انتباهه، وتوعيته عبر الترغيب والترهيب. ويحمل العنوان وظيفة جمالية تُبيِّن العلاقة بين المرسَل والمرسل إليه، حيث تتميز هذه العلاقة بالبعد الجمالي الاتصالي للقناة العنوانية، وتهدف للتأكيد على التواصل ومواصلة الإبلاغ، والمحافظة على حيز التفاعل بين الطرفين.

([1]) جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص١١.

([2]) صابر الحباشة، التداولية والخطاب مداخل ونصوص، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ط.١، ٢٠٠٨م، ص١٢٩.

٣-الظاهرة التخاطبية في النص الأدبي

إنَّ الدراسات التخاطبية تعتبر "امتدادا واستكمالا لجهود المدرسة الوظيفية، وتأتي هذه الدارسات نتيجة طبيعية لشعور المهتمين بها بإخفاق النموذج التقليدي للتخاطب (traditional model of communication) في تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب. ويمكن تلخيص أوجه الإخفاق فيه في كونه يتعامل مع التخاطب في عزلة عن السياقات الفعلية التي تستخدم فيها اللغة، ويصبغ عملية التخاطب بطابع مثالي تتجاهل فيه قضايا اللبس، والخروج على المواضعات اللغوية، وقصر وظائف اللغة على عملية الإبلاغ وإهمال الأصول التخاطبية المفسرة لمقاصد المتكلمين"[١].

وتعد المقاربة التداولية في دراستها للنص الأدبي من منطلق كونه عملية تخاطبية من أنجع المقاربات التي تعالج هذا الإخفاق الموجود في النموذج القديم للتخاطب؛ فلقد تطور بفعل التداولية "المفهوم الجامد للكلام –كما شرحه دي سوسير– إلى عمل ديناميكي يأخذ طابع الاستعمال. وهو أمر يتيح إقحام مصطلحات ديناميكية أخرى تحل محل نظائرها الجامدة في تراث دي سوسير، ربما كان من أهمها استخدام المقصد بدلا من المعنى، وأصبح موضوع تحليل المحادثة بدلا من الجملة، وأضحى اللسانيون يبحثون في مبادئ أو أصول التخاطب لبلوغ كنه مراد المتكلم بدلا من الاقتصار على البنى اللغوية المجردة"[٢].

إذن في التداولية يحل التخاطب محل النظام المجرد للغة، وذلك أنه مهما كان النظام البنيوي المجرد للغة محددا وواضحا؛ فإن اللغة "لا تحقق وجودها الفعلي إلا إذا كان العالم حاضرا فيها. وعليه، فالقول بأن اللغة هي في الأصل إنسانية، يعني في الوقت نفسه أن وجود الإنسان في العالم هو وجود لغوي أساسا"[٣].

---

(١) محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط.١، ٢٠٠٤، ص ٩٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٧.

(٣) هانز جورج جادامير، الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم، راجعه عن الألمانية: جورج كتورة، طرابلس – ليبيا: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، ط.١، ٢٠٠٧م، ص٥٧٦.

إن معنى اقتران وجود الإنسان في العالم باللغة هو أنه يستخدم اللغة استخداما تخاطبيا، ومن أجل نجاح عملية التخاطب —سواء في الاستخدام العادي للغة أو في الاستخدام الأدبي بوصف النص الأدبي حدثا تخاطبيا –فإن "عملية التخاطب لا تقتصر على المعطيات اللغوية؛ بل تتناول أيضا عناصر منطقية وأخرى تخاطبية، وهو ما أعطى لهذا الحقل بعدا ابستمولوجيا جديدا يبدو فيه التشديد على تداخل المعارف والعلوم المختلفة والعلاقة التكاملية بينها"[1].

وهذا التداخل بين العلوم المختلفة رافقه أيضا الاقتران بين النص المنطوق والنص الأدبي المكتوب، وذلك أن "الكتابة تمزج —في نهاية المطاف–بين نوعين من العلامات، فتصبح اللغة –ذات الصيغة السمعية عادة– بصرية، عندما تكتب أو تأخذ شكلا طباعيا. إن التزام العلامة السمعية بالزمان باعتباره عامل تبنينها، ينضاف إلى التزام العلامة البصرية بالمكان؛ ومن ثم تفرض الكتابة على اللغة خطية وتتابعا ووجودا فيزيقيا في المكان؛ وهي خصائص لا يملكها الحديث"[2].

إن العبارات التخاطبية العادية لا تقوم بإثارة مشاكل أو لبس على مستوى التخاطب والتواصل، ولكنَّ النص الأدبي يمثِّل ظاهرة تخاطبية بين كل من المتكلم والمتلقي، وينتج عنه العديد من المشاكل الناتجة عن الغموض والتلميح واستخدام الرموز. بالتالي ليس من السهل أن يتمكن المتلقي من استيعاب المراد من المتكلم إلَّا أنّ بذل المجهود الكافي يجعله قادراً على تحليل الخطاب وفك الرموز.

([1]) محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص١٠١.

([2]) ترنس هوكس، مدخل إلى السيمياء، ترجمة: مصطفى كمال، مجلة بيت الحكمة، المغرب، العدد ٥، السنة الثانية، سنة ١٩٨٧م، ص ١٢٠.

٤-الأفعال الكلامية في النص الأدبي

إن النص الأدبي ليس بناء جماليا محضا، أو بنية شكلية منغلقة، وإنما يهدف من خلال ذكر العديد من الأقوال والأفعال الإنجازية إلى محاولة التأثير في معتقدات القارئ، وحين نقارب النص الأدبي مقاربة تداولية؛ فإنه "يتحدد التوجه النقدي للتداولية بوصفها المسار الذي يدرس المعنى في ضوء علاقته بموقف الكلام حال استخدامه وتلقيه، وتبحث عن الفعل المنجز من الكلام وعلاقته بالمستخدم في إطار تواصلي، ويتمثل الاشتغال النصي للتداولية بقضية البحث عن المعنى، ومعرفة قصدية المتكلم، وأفعال الكلام في إطار خطابي تواصلي"[١].

فكون النص الأدبي خطابا ، يقتضي أن يكون هناك عملية تواصلية، والعملية التواصلية إسهام في حدث التخاطب، والتخاطب يقتضي وجود أفعال كلامية تحدد مقاصد كل من المتخاطبَين، وبالتالي فإن النص الأدبي أفعال وأحداث كلامية؛ "ويمكن تحديد أهم المفاهيم النقدية التي تشتغل عليها التداولية بالآتي:

١. الحدث الكلامي.
٢. القصدية.
٣. الاستلزام الحواري.
٤. متضمنات القول.
٥. نظرية الملاءمة."[٢].

إن كون النص الأدبي حدثا كلاميا يدفعنا إلى الحديث عن التصور الخامس من التصورات التي تقوم عليها المقاربة التداولية وهو مقصدية النص الأدبي.

---

(١) محمد سالم سعدالله، النقد التداولي من الحدث اللغوي إلى التواصل التقني، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط١، ٢٠١٢م، ص١٣٤.

(٢) المرجع نفسه، الصحفة نفسها.

٥-المقصدية في النص الأدبي

في البداية، كانت الدراسات التداولية تهتم بالمتكلم باعتباره صاحب السلطة في عملية التخاطب، فهو الذي يقوم بتوجيه المخاطَب وتزويده بمجموعة من الأوامر ليقوم بتنفيذها بطريقة آلية دون مناقشة ولا تردد، وهذا النوع من التواصل يسمى التواصل التوجيهي. ولكن هنالك العديد من التداوليين الذين يرفضون هذا النوع من التوجيه، ويعتبرون المقصدية عاملاً مشتركاً بين كل من المتكلم والمتلقي.

إن الفعل المنجز من الكلام في عملية التواصل بين المتخاطبين يعني أن اللغة ذات وظيفة اجتماعية تقوم على قصدية المرسل وعلى تفاعل المتلقي معه، "ومما هو سبب لاهتمامنا بوظيفة اللغة في المجتمع أنه يتحتم علينا الاعتراف بأن السلوك الجماعي الإنساني يتّخذ طابعا خاصا حيثما دخلته الرمزية الجماعية أي الاتصال، وأن سلوكا من هذا النوع مشتملا على الرمزية له عند الجماعة نفس الوظائف التي للنشاط العقلي عند الفرد، فالتذكر الجماعي، والتخطيط الجماعي، والإحساس الجماعي، والإرادة الجماعية، كل ذلك يعدل بوجود شكل ما من الاتصال الرمزي في الجماعة. إن الاتصال الرمزي هو الذي يجعل في طوق الجماعة أن يتجه انتباهها إلى مجرى سلوكها، وإن اللغة لتمكن الجماعة من أن تجعل هذا الانتباه أكثر شمولا"[١].

وإن انتباه الجماعة إلى مجرى سلوكها –وفقا للفكرة الاتصالية التخاطبية للغة –يكون انتباها قائما على قصدية اللغة كما تبينها فكرة الإنجاز التي يحملها الفعل الكلامي أو الحدث الكلامي؛ "فالحدث الكلامي أو نظرية الفعل الكلامي (speach act theory) تتعلق بكل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ... وللفعل الكلامي ثلاث خصائص؛ دلالته وإنجازه وتأثيره. والقصدية متعلقة

---

(١) م.م. لويس، اللغة في المجتمع، ترجمة: تمام حسان وابراهيم أنيس، القاهرة: دار إحياء الكتب العربي عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٥٩م، ص١٢٥.

بتفسير الظاهرة من خلال مرجعية خارجية متعلقة بالقصد (Intention) ... والتداولية بوصفها مسارا نقديا تحليليا تعالج العلاقة بين العلامات ومستخدميها"[1].

إن معالجة التداولية للعلاقة بين العلامات ومستخدميها تكون عن طريق كشف القيمة الإنجازية للكلام المقال في سياق تخاطبي معين، عن طريق معرفة الجانبين الإنجازي والتأثيري لأفعال الكلام من خلال الربط بين المحتوى القضوي والسياق المقامي الذي تمت فيه عملية التخاطب والتواصل.

(1) محمد سالم سعدالله، النقد التداولي من الحدث اللغوي إلى التواصل التقني، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص١٣٤، ١٣٥.

٦-الاستلزام الحواري وآليات إنتاج المعنى

ترى المقاربة التداولية أن الخطاب أو النص الأدبي عبارة عن استلزام حواري وإنجازي؛ أي من المحتمل أن تكون معاني الجمل اللغوية صريحة وقد تكون ضمنية، و"تشمل حمولة المعاني الصريحة: (أ) المحتوى القضوي (معاني مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض) و(ب) القوة الإنجازية الحرفية القوة الإنجازية المشار إليها بصيغة الجملة كالاستفهام والأمر والإخبار...). والمعاني الضمنية صنفان: معان عرفية، ومعان حوارية (سياقية). وتعد معانيَ عرفية المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطا يجعلها لا تتغير بتغير السياقات. في حين تعد معاني حوارية المعاني التي تتولد طبقا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها الجملة"[١].

والمعاني الحوارية التي تتولد طبقا للسياقات يتم كشفها عن طريق الاستنتاج باعتبارها استلزاما حواريا، و"هناك أكثر من نظرية واحدة في الاستنتاج، لكنها جميعا تشترك في المواصفات الأساسية وهي:

أولا: إن المعنى الحرفي والمغزى الحرفي للمقولة هما في متناول المتحاورين ويحتسبان من قبلهما.

ثانيا: ولكي تكون القولة فعلا كلاميا غير مباشر يجب أن يكون هناك مولد للاستنتاج؛ أي ما يدلّ على أن المعنى الحرفي أو المغزى الحرفي غير كاف لغرض المحاورة ضمن السياق، ويجب أن يعدّل باستخدام الاستنتاج.

ثالثا: يجب توفر مبادئ وقواعد محددة لاستخراج المغزى غير المباشر المقصود من المعنى أو المغزى الحرفي والسياق.

رابعا: يجب توفر قواعد أو ضوابط لغوية فعلية تتحكم في إمكانية ورود تعابير معينة"[٢].

([١]) جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص٣١.

([٢]) هشام ابراهيم عبد الله الخليفة،الاستدلال على المغزى المقصودمن الفعل الكلامي غيرالمباشربين الفعليات الحديثةوالتراث اللغوي العربي،بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي،لندن:مؤسسة السياب،ط١،ص٢٠٣.

٧-البعد الحجاجي الإقناعي في النص الأدبي

إن دراسة الحجاج فرع من فروع النظرية التداولية في دراسة اللغة، والتداولية هي ذلك الفرع من علم اللغة الحديث الذي يبحث في طرق إنتاج الرسالة اللغوية وكيف يفهم المتلقي منها مقاصد المتكلم؛ ويمكن تعريفها إجمالا بأنها: "مذهب لساني حديث يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والمعطيات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية. . . إلخ"[١].

إن التداولية والدراسات اللغوية المعاصرة المرتبطة بها تعتبر عملية إنتاج اللغة أو ما يعرف بالفعل اللغوي هو ناتج تكلم لغة ما من اللغات لغرض استعمالي إنشائي[٢]. وتكلم اللغة لغرض استعمالي ينتج عنه مجموعة من الأفعال تتمثل – على وجه العموم – في أفعال التأكيد والأمر والوعيد والوعد والعملية الاستفهامية المتمثلة في إثارة الأسئلة وغير ذلك من أفعال الكلام؛ دراسة أفعال الكلام من الناحية التداولية وتتمثل في دراسة أغراض الكلام التي يهدف إليها المتكلم أو الناطق باللغة في إنتاجه لكل فعل من أفعال الكلام السابقة؛ "إن هذا التصور للغة جاء –إن شئنا– ليحلّ محل النظرية التقليدية، فهو يضع في مركز

---

[١] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، بيروت: دار الطليعة ط.١، ٢٠٠٥م، ص٥.

[٢] الإنشاء في التداولية يقصد به إنشاء غرض من وراء الكلام أو عملية تأسيس معنى إنجازي للكلام وليس المقصود به الأسلوب الإنشائي في التراث البلاغي العربي.

الصدارة قوة الأدلة والطابع النشط للغة وانعكاسيتها الأساس "كونها تحيل على العالم بإظهار نشاطها الشخصي التلفظي" وطابعها التفاعلي وصلتها الأساس بإطار يسمح بتأويل الملفوظات وبعدها القانوني"[1].

إن دراسة اللغة اعتمادا على فكرة قوة الأدلة يعني دراسة الفعل الحجاجي في اللغة، فقد "انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستن وسورل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار أوستن وآرائه بالخصوص، واقترح -في هذا الإطار- إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج. وبما أن نظرية الفعل اللغوي عند أوستن وسورل قد واجهتها صعوبات عديدة (عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية مثلا) فقد قام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم التكلم أو الإنجاز مع التشبث دائما بفكرة الطابع العرفي للغة، وهو يعرفه بأنه فعل لغوي موجه إلى إحداث تحولات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات. ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحوارية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره"[2].

ويعتبر ديكرو وأنسكومبر رواد دراسة "الحجاج اللغوي"؛ إذ "تمثل أعمال أوزفالد ديكرو وجون كلود أنسكومبر تيارا تداوليا متميزا. ويكمن وجه تميزه في رفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة وموضوعها معنى الجملة، والتداولية وموضوعها استعمال الجملة في المقام، من جهة ... فيكون مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرة الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن"[3].

([1]) دومينيك مانجونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، ص١٠٢

([2]) أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، بحث منشور في كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ١٣٤، ص٥٦.

([3]) شكري المبخوت،الحجاج في اللغة،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،ص٣٥١.

إن الحجاج بالنسبة إلى ديكرو يعني أن اللغة في ذاتها –وباعتبارها مادة للتكلم ولإنجاز الأشياء والأفعال –تحمل المضمون الحجاجي والبرهاني؛ "إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة؛ لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة –أيضا وأساسا –بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبوظيفة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها"[1].

إن تلك التسلسلات الخطابية التي يعنى بها الحجاج اللغوي الذي وضع أسسه ديكرو وأنسكومبر لا تعني قواعد الاستدلال المنطقي؛ "فترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي وإنما هو ترابط حجاجي لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى، وتفرض ربطه بقول دون آخر. فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية؛ تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم –في اللحظة التي يتكلم فيها –يوجه قوله وجهة حجاجية ما"[2].

إن نظرية الحجاج اللغوي لو اكتفت بفكرة القوة الحجاجية القائمة في بنية اللغة نفسها؛ فإنها لن تكون كافية لبيان الطرائق التي يستطيع الباث أن يحمل المتلقي على وجهة نظر معينة ومحاجته بها، فـ"الباث والمتلقي عنصران متجذران في الخطاب الحجاجي. فبما أن هناك قصد لتغيير رأي المخاطَب أو المتلقي، وهو الأمر الأساس في أي مسعى حجاجي، وبما أن هذا المسعى التغييري لرأي المخاطب يصدر بالضرورة عن

(1) أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص٥٧.

(2) شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ص٣٥٢.

متكلم ما أو باث ما؛ فإننا نؤكد أن أي خطاب حجاجي يتجذر فيه هذان العنصران، إذ المتكلم يراعي استعداد المتلقي لقبول ما يلقى إليه من الحجج التي ينبغي بالضرورة أن تنطوي على عناصر مقبولة"[١].

وما دام الباث أو المرسل أو منشئ الرسالة اللغوية (الخطاب) يراعي مقام المتلقي، فإن مراعاة المقام تعني أننا أمام استخدام للبلاغة، ومن هنا اهتم الباحثون في نظرية الحجاج بالجانب البلاغي للحجاج، وتقوم فكرة الحجاج البلاغي على أن البلاغة لها حضور "في كل نشاط إنساني، سواء تعلق الأمر بإنتاج الفكر أو بممارسته؛ ممارسة تتجه بالأساس إلى الآخر، لأن الإنسان لا يفكر أو يتفلسف أو يكتب أدبا أو غيره بمعزل عن العالم، إنه في تواصل مستمر وفعال مع محيطه الخارجي، وما يحتويه من مؤثرات ومحفزات وإكراهات، أو ما يطرحه من أسئلة وإشكالات وافتراضات؛ ومن هنا يدخل الجانب البلاغي كآلية رئيسة في تشكيل الخطاب لتحقيق تواصل مميز ومثمر بين الناس"[٢].

إن المعاني البلاغية تمثل "المنطقة المركزية للتقاطع بين الشعري والخطابي، ومركز المركز في هذا التقاطع هو التأثير في النفوس ودفعها نحو اعتقاد أو فعل"[٣]؛ باستخدام كل الإمكانات الحجاجية المتاحة، سواء ما تعلق ببنية اللغة وقدرتها الإنجازية والدلالة المدمجة في الأفعال، أو ما ارتبط بالإحالات الخارجية لمدلولات اللغة، "وتكمن الوظيفة الحجاجية في كون الإنسان الذي يستطيع توليد معانٍ من خطوط على الورق يستطيع أن يستنبط معانيَ من خطوط الكون أمامه بما فيه من موجودات وحركة"[٤].

---

(١) محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر وديسمبر ٢٠١١، ص١٢.

(٢) رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر وديسمبر ٢٠١١، ص٨٦.

(٣) محمد العمري، تداخل الحجاج والتخييل، بحث منشور في كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ١٣٤، ص١٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٠.

والسير مع وسائل الإقناع التي تطرحها المحاجة هو الحجاج البلاغي، وقد كتب كل من بيرلمان وتيتيكاه كتابا بعنوان "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة"، و"يحدد بيرلمان وزميله تيتيكاه مفهوم الحجاج في كتابهما هذا بقولهما: "إن موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم، وهما يبينان أن غاية الحجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو أن تقتنع به الأذهان"[1].

إذن الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه هو حجاج بلاغي، يخرج الحجاج من حالة الجدل اللفظي والصنعة الكلامية إلى الغاية الإقناعية والوظيفة التوجيهية التي تعتمد على سوق الدليل وطرق إيراده لكي يقتنع به المخاطب، ولا يعني هذا أن الحجاج يمثل عمليةَ جبريةٍ عقليةٍ، فقد عمل كل من بيرلمان وتيتيكاه على "تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب. فالحجاج عندهما معقولية وحرية. وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي الآخر بعيدا عن الاعتباطية واللا معقول اللذين يطبعان الخطابة الجديدة عادة، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل"[2].

إن الحجاج عند بيرلمان كان يمثل البلاغة الجديدة، "ومن أهداف هذه البلاغة الجديدة دراسة وسائل التأثير في المخاطبين بمختلف مستوياتهم وبعيدا عن المغالطات والتحريض، أي التأثير العلمي القائم على أسس عقلية؛ وهذا ما جعل بعض النقاد مثل كريستيان بلانتين يعتبر بيرلمان المؤسس الحقيقي للحجاج الخطابي والحجاج القانوني والحجاج العلمي في آن، ولبناء الحجاج على مفاهيم أساسية أهمها الحقيقة

([1]) نعيمة يعمران، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، بحث ماجستير بقسم الأدب العربي بكلية اللغات والآداب بجامعة مولود معمري بالجزائر، ص٢٠.

([2]) عبد الله صولة، نظرية في الحجاج دراسات وتطبيقات، تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط.١، ٢٠١١م، ص١١-١٢.

والمعقول والعدل والمبرر، وما يتبع هذه المفاهيم من روافد تجد مراجعها في المعنى الواسع لمفهوم "التداخل المعرفي". كما تُعنى بلاغة الحجاج أيضا بثنائية بلاغة الحُجة وبلاغة أسلوبها معا شرطين متلازمين لتحقيق الخطاب ونفاذه، ولكي لا تقع التضحية –عند طغيان بعض الجوانب التداولية–ببعض الأهداف والأسس البنائية للفكرة على حساب الفهم والاستيعاب"[1].

بقي أمر أخير بعد هذا العرض لكل من الحجاج اللغوي والذي مثل رأس مدرسته ديكرو وأنسكومبر والحجاج البلاغي والذي أرسى مفهمومه كل من بيرلمان وتيتيكاه، وهي أن الفصل بينهما –أي بين اللغوي والبلاغي– فصل تعسفي غير معتد به، ولا يستطيع لا المحاجج ولا محلل الخطاب أن يفصلا بين الجانبين اللغوي والبلاغي في الحجاج؛ حيث إن ديكرو نفسه –وهو مؤسس فكرة الحجاج اللغوي– قد ربط بين الدلالة والسياق، فلقد ربط ديكرو بين الدلالة المدمجة في القول، وبين السياق، بحيث يمثل السياق المكون البلاغي في "الحجاج" "وأساس العلاقة بين المكونين اللغوي والبلاغي هو السيطرة على تعدد الاستعمالات في المقامات المختلفة وذلك بأن يكون للمكون اللغوي قدرة على التكهن بدلالة الأقوال وللمكون البلاغي قدرة على تحديد معنى القول الفعلي؛ أي المتحقق مقاميا"[2].

ب –مداخل المقاربة التداولية والعرفانية للخطاب الأدبي

إن تحليل الخطاب ومعرفة مراميه ومقاصده يعدّ المهمة الأولى للتداولية؛ أو بمعنى أدق يعد جوهر التداولية، "ويعنى التداوليون بالاقتراب من الخطاب موضوع خارجي، أو شيء يفترض وجود فاعل منتج له، وعلاقة حوارية مع مخاطب أو مرسل إليه. ومن الناحية الألسنية فإن فكرة الفاعل ضرورية لمتابعة تحولات اللغة في الخطاب. ومع ذلك فإنه من وجهة النظر العلمية الخاصة بالفواعل المتكلمين فليست اللغة نظاما

([1]) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط.١، ٢٠٠٨م، ص١٠٦.

([2]) شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ص٣٥٦.

وحيد الاتجاه"[1]؛ فحين ينطق المتكلم الكلام أو يكتب نصا فإنه يدخل الكلمات في مجال استعمالي، ويتم تفسير هذا المجال الاستعمالي عن طريق السياق الداخلي للرسالة اللغوية وهو ذلك الامتداد الخطي للجمل في سياق لغوي واحد متصل يشكل نصا، كما يتم أيضا عن طريق السياق الخارجي المتمثل في مجموعة عوامل المقام. ويرتكز التحليل كذلك على مدخل البعد التواصلي في النصّ الأدبي، ويعتمد على مدخل القصدية بوصفها عملية مشتركة بين الباث والمتلقّي وعلى أساسها يلتقي التصور التداولي بالتصوّر العرفاني، هذا إضافة إلى المدخل التأويلي الذي يربط المقاربة التداولية والعرفانية بالمنهج السيميائي عموما، وفضلا عن ذلك كلّه فإنّ البحث في مسألة الدلالة تمثّل المدخل الجامع والقاسم المشترك بين جميع الاتجاهات والمدارس اللسانية في طور ما بعد البنيوية.

١–السياق

والسياق بشقيه – الداخلي والخارجي – "هو جزء من المقام، وله أهمية بالغة في تحليل الخطاب (Discourse Analysis) المكون من مجموعة من الجمل المتراصة التي تشكل نصا؛ حيث إن معنى أي جملة في النص ما عدا الجملة الأولى يخضع لقيود النص السابقة عليها ولقيود النص اللاحقة لها"[2].

ومعرفة دلالة الكلمة أو الجملة في ضوء السياق الداخلي للخطاب هو ما يعرف بالمحتوى القضوي للخطاب، والذي يعني مجموع معاني مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض في علاقة إسناد؛ وبذلك يكون المحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية التي يعبر عنها النص؛ فالكلمة حين تنطق للتعبير عن قضية ما يتم التعامل معها "على محورين، الأول استبدالي والثاني تركيبي. فالكلمة في المحور الأول تكون ممثلة لعدة احتمالات وممكنات واختيارات دلالية. وإنها لتعد من هذا المنظور مخزونا دلاليا في حيز الموجود بالقوة.

([1]) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، العدد ١٦٤، أغسطس ١٩٩١م، ص٨٩.

([2]) شاهر الحسن، علم الدلالة السمانتيكية والبرجماتية في اللغة العربية، عمان – الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط.١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص١٦٣، ١٦٤.

وإن معانيها الممكنة لتكون في حالة تربص لما يقع عليه الاختيار منها. وأما في المحور الثاني فتكون فيه على ما يكون عليه استعمالها توزيعا ووظيفة ضمن التركيب. وهو اختيار يقوم به المتكلم لمعنى الكلمة من خلال التركيب الذي يضعها فيه"[1]. إن الدلالة الإنجازية هي معرفة معنى الفعل اللغوي المضمن في الخطاب اعتمادا على معطيات السياق، وهنا لا بد من النظر إلى السياقين، السياق الداخلي للخطاب والسياق الخارجي الذي هو مجموعة عوامل المقام التي أنتج فيها النص أو الخطاب.

من حيث السياق الداخلي فإن السياق الداخلي اللغوي يعتمد على توالي الكلمات داخل الجملة؛ إذ إنه "تتوقف قيمة كل كلمة على مقابَلَتِها بغيرها من الكلمات وفق امتداد خطي أفقي فعلي في الكتابة والنطق والسمع؛ حيث تنشئ الكلمات في الخطاب – ضمن تعاقدها فيما بينها – علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية، تلك التي تستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية، ويمكن تسمية الأنساق التي يكون المدى سندا لها "تراكيب"؛ إن عبارة ما في تركيب ما لا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع ما يسبقها أو يليها أو الاثنين معا"[2].

والفارق الأساسي بين المعنيين المعجمي والسياقي هو تعدّد الأول وتحدّد الثاني ومن هنا فقد أدرك الأوائل أثرَ السياق في توجيه المعنى وتحديده، كما أوْلى المحدثون عنايةً خاصّةً بالسياق في تفسير الحدَث الكلامي فهو المعين على تحديد قيمة الكلمة؛ لأنّه يُحدّدها ويُجرّدها من كلّ الدَلالات التي يمكن أن تتبادَر إلى الذهن عند سَماعها منفردة.

([1]) منذر العياشي، اللسانيات والدلالة الكلمة، حلب: مركز الإنماء الحضاري للمراسلة والترجمة والنشر، ١٩٩٦م، ص١٨٣.

([2]) غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، بحث منشور في مجلة المِخبَر .. أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر، العدد السادس، ص١١.

ومن هنا تبدو نظرية السياق من نتائج البحث الدلالي الحديث، ولكنّ جذورها ممتدة الى علمائنا ولغوييننا القدماء، مما يبدو واضحاً من اهتمامهم بالنص وتحليله ويدل لفظ (السياق) عند اللغويين المعاصرين على الإطار الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر. فيشمل زمن الكلام والمفاهيم المشتركة والكلام السابق للمحادثة، ويرادفه القرينة. وله أهمية كبيرة في البحث اللغوي المعاصر، لغرض تحديد الدلالة، حتى يصبح نظرية متكاملة ترتبط بتخصيصات كثيرة.

واستعمال المعنى في السياق هو الذي يوضّح الصور المختلفة (لتناوب المعاني) الأخرى مع المعنى المركزي الثابت. فالسياق له أثر كبير في تحديد معنى الكلمة، و"لاعتبار السياق من أهم الأعمدة التي تقوم عليها التداولية وسيميائيات التواصل؛ فإن أي فهم لخطاب لغوي معين لا يمكن تحقيقه إلا إذا قمنا بتقصي الأوضاع الاجتماعية والسياسية والتاريخية، التي ولّدت لنا خطابا مُؤَثَّثًا بمختلف المعارف والتجارب الإنسانية، فالسياق هو مجمل الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة، وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما"[1].

إن التحليل التداولي للخطاب يميز "بين معنى الجملة أو معنى الكلمة من ناحية، ومعنى المتكلم أو معنى المنطوق من ناحية ثانية. فللجمل والكلمات معان بوصفها أجزاء من الجملة. ويتحدد معنى الجملة بمعاني الكلمات والترتيب النحوي للكلمة في الجملة. غير أن ما يعنيه المتكلم بمنطوق الجملة يعتمد —ضمن حدود معينة على مقاصده"[2]، ويعتمد أيضا على سائر العوامل المقامية الأخرى.

([1]) حبي حكيمة، السياق التداولي في "كليلة ودمنة" لابن المقفع، مذكرة لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة مولود معمري بتيزي وزو بالجزائر، ص٢ من المقدمة.

([2]) جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع والفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، الناشرون: منشورات الاختلاف بالجزائر، والمركز الثقافي العربي ببيروت، والدار العربية للعلوم ببيروت، ط١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، ص٢٠٦.

٢-الوظيفة التواصلية

لكي نعرف الماهية التواصلية للنص، فلا بد من تعريف النص أولا، والنص هو "متتاليات من الجمل أُنتجت في سياق مقامي ملموس بهدف تواصلي معين، أدت إلى استخلاص عدد من المبادئ تقوم عليها عمليتا إنتاج النصوص واستيعابها، والتي تتجسد في شكل قواعد أو قيود في بنى النص الفعلية والدلالية والإعلامية"[١].

إن النص –طبقا للتعريف السابق –هو حدث لغوي، ونحن حين نبدأ مع تعريفات اللغة نجدها تتضمن العملية التواصلية وسوف نذكر أشهر تعريف عربي للغة وتعريفا لأحد علماء اللغة الغربيين؛ لأن تعريف اللغة أو ما يستتبعها من تعريف علم اللغة؛ لكي يتبين منهما الأصل التواصلي الذي انبنت عليه اللغات ابتداء.

يعرف ابن جني اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[٢]. وتعريف ابن جني هذا للغة يشمل جميع الجوانب التي يشملها "التعريف" الجامع المانع، فهو يذكر الشق المادي الذي تتكون منه اللغة، وهي أنها مجموعة من الأصوات، كما يذكر الجانب الوظيفي للغة، وهي التعبير عن الغرض أو الحاجة التي يقصد المتكلم إليها من وراء العملية الكلامية اللغوية، أو من وراء إنشائه الرسالة اللغوية.

وإذا كان ابن جني قد ذكر الجانب القصدي الوظيفي للغة صراحة في تعريفه، فإنه قد ذكر الجانب التواصلي للغة ضمنا حين قال "يعبر بها كل قوم" فتعبير "كل قوم" يعني أن ثمة أطرافا للعملية الكلامية

---

(١) باشوفا سالم وتزفيتو ميرا، دور لسانيات النص في تطوير مناهج تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية لغير الناطقين بها – دمشق – سوريا ٨-١٠ / ٤ / ١٤٢٥هـ الموافق ٢٦-٢٨ / ٥ / ٢٠٠٤م، ص٢.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ج١/ ص٣٤.

يتواصلوان عن طريق اللغة؛ وبذلك يكون ابن جني قد ذكر في تعريفه للغة مكونها المادي "من الأصوات"، وجانبيها الاتصالي والتعبيري.

أما العالم اللغوي الغربي "هال" فقد عرف اللغة بأنها "نمط اجتماعي منظم يتواصل بها البشر ويتفاعل بها الواحد مع الآخر بواسطة الرموز الاعتباطية المسموعة – المنطوقة المعتاد استخدامها" ومن بين النقاط التي نلاحظها في هذا التعريف: أولا: التأكيد على "التواصل"، و"التفاعل" ... وثانيا: أن مصطلح "مسموعة – منطوقة" يمكن أن يكافئ مصطلح "منطوقة" "ولا يختلف عنه إلا في إشارته إلى السامع والمتكلم على حد سواء "أي: إلى المرسل والمستقبل للرموز المنطوقة التي نتعرف عليها بوصفها أقوالا لغوية"، ويتعامل هال مع اللغة على أنها نظام إنساني بحت، ومصطلح "نمط اجتماعي منظم" يوضح صراحة وجهة النظر التي تذهب إلى أن اللغة التي يستخدمها مجتمع بعينه جزء من ثقافته"[1].

إن التعريفين السابقين، سواء تعريف ابن جني أو تعريف هال؛ قد ركزا في تعريفهما للغة على الجانب المادي المتمثل في الأصوات من جهة، وعلى الجانب الوظيفي التواصلي المتمثل في التواصل والوظيفة التعبيرية من جهة ثانية، وهذا يعني أن مجموعة الكلمات التي تتشكل منها الأصوات لا بد أن تحيل على معاني ودلالات تحملها تلك الكلمات؛ حتى يستطيع متكلم اللغة أن يتواصل عن طريقها مع الطرف الآخر في عملية الكلام، وحتى يستطيع أن يوصل مقصده؛ حيث إن "صدور هذه الرموز الصوتية اللغوية لأداء معان محددة متميزة يعنيها المتحدث ويفهمها المتلقي– معناه اتفاق الطرفين على استخدام هذه الرموز للتعبير عن الدلالات المقصودة. وبهذا يكون هناك ارتباط غير مباشر بين الجهاز العصبي للمتكلم والجهاز العصبي للمخاطب وما اللغة إلا وسيلة الربط بينهما وأداة التعبير. فكل موقف كلامي يشترط وجود متحدث

([1]) جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ترجمة: مصطفى زكي حسن التوني، القاهرة: دار النهضة العربية، ط.١، ١٩٨٧م، ص٦.

ومتلق. وتتم عملية الكلام بأن يصدر الجهاز العصبي عند المتحدث أوامره إلى الجهاز النطقي عنده، فتصدر اللغة وتمضي على شكل موجات صوتية في الهواء فيتلقاها المتلقي بجهازه السمعي، ثم تنتقل بعد ذلك إلى جهازه العصبي فتترجم هذه الرموز الصوتية اللغوية إلى معانيها المرتبطة بها"[1].

وما سبق معناه أن الجانب الدلالي قد ذكر ضمنا في تعريفات اللغة، فاللغة ابتداء من اللفظة المفردة وصولا إلى الرسالة اللغوية –سواء كانت في شكل جملة أو نص أو خطاب كامل–إذا خلت من الدلالة – وخاصة المقصدية –تعتبر عبثا صوتيا لا طائل من ورائه، ولا نستطيع أن نتوصل إلى الدلالة إلا عن طريق الدراسة العلمية للغة ونصوصها.

فالهدف التواصلي هو أساس اللغة المنطوقة، وهو أيضا الأساس في إنشاء المتكلم لنصوصه اللغوية، وبالتالي فإن النص –أدبيا كان أو غير أدبي–هو في الأساس حدث تواصلي؛ إذ "يعد النص حدثا يوجهه المرسل إلى المستقبل لإنشاء علاقات متنوعة، وتوصيل مضامين يعنيها المنتج، ولا تقتصر على العلاقات القواعدية، في حين لا تعني الجملة إلا بالعلاقات القواعدية؛ ومن ثم فهي لا تمثل حدثا. وتتخذ الجملة شكلها المعين وفقا للنظام الافتراضي المعلوم، في حين تشكل بنية النص بحسب ضوابط المشاركين والمستقبلين على حد سواء"[2].

٣–القصدية

إن معنى المتكلم (أو الكاتب في النص المكتوب) هو المقصد الذي يرومه المتكلم/الكاتب من وراء الخطاب، "وبما أن قصدية العقل تعتمد في الأساس على قصدية اللغة الاستعمالية وتعد جزءا منها؛ لذا لا

---

(1) محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ص١٠.

(2) نادية رمضان النجار، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، بحث منشور الكتاب الدوري علوم اللغة الصادر عن دار غريب بالقاهرة، المجلد التاسع، عدد٢، ٢٠٠٦م، ص٢٨٨.

يمكن تفسير القصدية إلا بالاحتكام إلى هذا الأخير لتوضيحها وبيانها، والقصدية في الاستعمال اللغوي تترجم بمعنى الغرض أو الغاية التي يريد المخاطب أو المتكلم تحقيقها من الخطاب في الوظيفة التواصلية، ومن هنا عدت القصدية إحدى القرائن المهمة في تحليل الخطاب اللغوي عموما والنحوي منه خصوصا، حيث توظف سياقيا لإظهار الطاقة الإنجازية والأداء الفعلي الإبلاغي المميز للتركيب؛ ذلك أن الخطاب أو النص يحافظ على وجوده وحضوره الحقيقي عبر هذه القرينة، وهي ظاهرة ملازمة له في جميع حالات الإنجاز التداولي وأصنافه"[1].

وتعدّ فكرة القصدية الرابط بين التداولية والعرفنة؛ لأن القصدية —كما سبق في تعريف التداولية –هي لبّ الدراسة التداولية، وهي من ناحية أخرى "خاصية عقلية تعبر عن توجه أو تعلق، مهمتها التمثيل العقلي، والعقل لا يتمثل ما هو واقعي موجود فحسب، بل قد يتمثل ما سوى ذلك؛ فيمكن أن نعتقد فيما لا يكون واقعيا، ونرغب فيما لا يوجد"[2].

إن القصدية هي تلك الفكرة يبتغيها المرسل حين ينشئ رسالته اللغوية، فالقصدية ابتداء عمل من أعمال العقل العرفانية؛ فالدور التطوري للعقل "يتمثل في ربطنا بطرق معينة بالبيئة، وبالناس الآخرين على وجه الخصوص. تربطني حالاتي الذاتية ببقية العالم، والاسم الذي يطلق على تلك العلاقة هو "القصدية". وتشمل هذه الحالات الشعورية الاعتقادات والرغبات، والمقاصد والإدراكات، وكذلك ضروب الحب

([1]) هيثم محمد مصطفى، القصدية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل بالعراق، المجلد١١، العدد٣، ٢٠١٢، ص٢٢٢.

([2]) وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير ببسكره بالجزائر، العدد السادس، يناير ٢٠١٠م، ص٤.

والمكاره، والمخاوف والآمال. ف"القصدية" –إذا شئنا التكرار–هي المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجه بها العقل، أو يتعلق بها نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم"[1].

إن القصدية إذن هي الرابط بين التداولية والعرفانية، ويظهر هذا الرابط أقوى ما يكون حين تُستنتج العلاقات الدلالية من الربط "بين العبارات اللغوية وميزات سياق الواقع الذي تستعمل فيه. لا تحتاج بعض العبارات إلى فهم العالم من حولها فحسب، فهي تشكل أيضا –عمليا–هذا العالم، بالأخص الهويات الاجتماعية فيه. يعطينا استعمال بعض التعابير أكثر من المعلومات الضرورية لإيجاد مرجع الحديث ... نرى كذلك أنه يمكن للكلمات أن تكون ليس فقط رموزا بل أعمالا أيضا"[2].

إن الكلمات حين تتجاوز فكرة الترميز إلى كونها أعمالا مؤسسة للواقع، وذلك عن طريق عملية تصورية ذهنية يقوم بها كل من المرسل والمتلقي، فالمرسل يتمثل الواقع ذهنيا فينشئ جملا وعبارات بغرض التأثير وإحداث إنجاز إنشائي ملموس في الواقع المحيط، وكذلك المتلقي يقوم بهذه العملية الذهنية العرفانية نفسها، وهو يفسر مقاصد المنشئ، ومن أجل إدراك هذه العملية العرفانية فإنه "لا بد من مستويات من التمثيل الذهني تكون فيه المعلومة التي تؤديها اللغة منسجمة والمعلومات الآتية من الأنظمة المحيطة مثل الرؤية، والسماع غير اللغوي، والشم والشعور بالحركة، وهكذا. وإذا لم توجد مثل هذه المستويات، يكون من المستحيل استعمال اللغة في الإخبار عن المدخلات الحسية. ولا نستطيع الحديث عما نرى ونسمع. وينبغي –على نحو مماثل–أن يوجد مستوى تكون فيه المعلومات اللسانية والمعلومات التي يحتمل أن ينقلها النظام

([1]) جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع والفلسفة في العالم الواقعي، ص١٢٨.

([2]) أسندرو دوراتني، الأنثروبولوجيا الألسنية، ترجمة: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص٣٥٤.

الحركي منسجمتين، كي نتمكن من تمثيل قدرتنا على تنفيذ الأوامر والتعليمات"[1]، أو تمثل مقاصد الخطاب.

إن النص الأدبي في أساسه هو خطاب لغوي معين يحمل قصدية معينة يريد المؤلف أن يوصلها لجمهور المتلقين، وتتوزع هذه القصدية –التي تعتبر الجامع بين التداولية والعرفانية- بين كل من منتج النص ومتلقيه؛ "ويعني هذا أن التفسير –بوصفه كلاما وجملا وملفوظات لغوية يحوي مجموعة من المقاصد المباشرة أو الضمنية، سواء أفصح عنها المفسر أم أضمرها المفسر له ... إن القصدية هي تلك الشبكة من الأفكار والقيم والرموز لهذا العلم أو ما يمكن تسميته بقاعدة توازنه الداخلي؛ إنها المفاتيح الأساسية المعتمدة بين الباث والمتلقي في بناء التفسير واستيعابه"[2].

إن بحث الناقد عن قصدية المبدع يجعل النص الأدبي شبكة من المقاصد التي يبين عنها التحليل التداولي العرفاني؛ "والتداولية تحدد بوصفها منهجا، وكيفية لمواجهة الفعل الأدبي، فهي تلتقي مع كل المقاربات التي كانت في السابق تقدم في النقد النفسي والاجتماعي. إن معنى أي ملفوظ يشترك فيه مركبان: المحتوى الواقعي (قيمته التصويرية)، وقوته غير التعبيرية، التي تبين نمط فعل اللغة (أو الكلام) الذي لا يكتمل إلا حين يلفظ بالإضافة إلى الكيفية التي يجب أن يستقبل بها، وبهذا فإننا حين نتكلم لا نوصل غير الفعل مما أردنا تبليغه من إفهام المتلقي الذي يتلقى الأداء"[3]، فيمرره على الذهن لاستنتاج المقاصد عبر شبكة من التصورات والمفاهيم والأطر التي يرسمها بغية استنتاج الأفعال الكلامية والدلالات الإنجازية المشحون بها النص الأدبي وصولا إلى مقاصده ومراميه.

([1]) راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص٦٨.

([2]) الرحموني بومنقاش، البناء التداولي للممارسة التفسيرية قراءة في إمكانات التحقق، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، تصدر عن مركز جيل البحث العلمي بالجزائر، العام الثاني، العدد٥، فبراير ٢٠١٥م، ص١١٥.

([3]) معمر حجيج، التداولية بين اللسانيات والدراسات الأدبية، الأثر مجلة الآداب واللغات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد٢، مايو ٢٠٠٣م، ص٢٥٥.

٤-التأويل

سبقت الإشارة إلى أن التداولية نشأت في بدايتها متفرعة عن السيميائية أو ؛ وإذا كانت السيميائيةتعتمد على تحليل الخطاب، فإن تحليل الخطاب هو "التخصص الذي بدل أن يقدم على التحليل اللغوي للنص في ذاته أو على التحليل السوسيولوجي أو النفساني لـ "محتواه"، يسعى إلى مفصلة articuler تلفظه مع موقع اجتماعي بعينه، وهكذا، يجد تحليل الخطاب نفسه حيال أنواع الخطابات المشتغلة في قطاعات الفضاء الاجتماعي"[١]. مما يجعل ربط العلامة بجوانبها الموضوعية ومرجعياتها الاجتماعية والتوافق القائم بين الدال المتلفظ به والمدلول الكامن في الذهن والمرجع الاجتماعي للعلامة؛ هو العمل الأول للتحليل السيميولوجي للخطاب.

في كتابه "التأويل بين السيميائيات والتفكيكية" يقول إمبرتو إيكو عن الفارق بين التأويل السيميائي والتأويل التفكيكي: "لقد خلف لنا التاريخ تصورين مختلفين للتأويل، فتأويل نص ما – حسب التصور الأول – يعني الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف، أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعي، وهو ما يعني إجلاء جوهرها المستقل عن فعل التأويل. أما التصور الثاني فيرى - على العكس من ذلك – أن النصوص تحتمل كل تأويل"[٢]. وهذا يعني أن التحليل السيميائي يعود بتأويل العلامات إلى مرجعياته الموضوعية في العالم والكون والمجتمع.

في إجابته عن سؤال: "لماذا علينا دراسة السيميائية؟" يقول دانيال تشاندلر: إنه "حتى الذين لا يقبلون بموقف أنصار ما بعد الحداثة – أن لا وجود للواقع خارج منظومة الإشارات – قد تساعد السيميائية

---

(١) دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلم ناشرون، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م ، ص١٠.

(٢) إمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط.٢، ٢٠٠٤م، ص١١٧.

على أن يعوا أكثر دور الوسيط الذي تقوم به الإشارات، والأدوار التي نقوم بها نحن والآخرون في تشييد الواقع الاجتماعي. وقد يُقلل ذلك من احتمال أن نكون متأكدين من أن الواقع بأجمعه مستقل عن التفسير البشري له ... قد يكشف تفكيك العلاقات بين الإشارات وصِيَغ الواقع، ومساءلتها، من هم أصحاب الصيغ المحظيّة وأصحاب الصيغ المِقْصِيَّة. ويتطلب هذا النوع من الدراسة تفحص قيام مجموعات اجتماعية معينة بتشييد الواقع وصيانته. إن الاستغناء عن دراسة الإشارات يعني أننا نترك للآخرين التحكم بعالم المعاني الذي نعيش فيه"[1].

فالإشارات والعلامات التي تدرسها السيميائية هي وسيط بين الفرد صاحب الرسالة – التي تؤول بواسطة العلامات – وبين العالم الخارجي والجوانب الموضوعية والأنساق الاجتماعية التي تحيل إليها تلك العلامات؛ وذلك في عملية تأويل ناقلة للمعنى عن طريق الربط بين العلامة وبين إحالاتها الاجتماعية والموضوعية والكونية، وكما يحدث هذا في العملية اللغوية العادية، فإن هذا ما يقوم بالتوصل له الناقد الأدبي الذي يتخذ من التداولية منهجا لتأويل النصوص الأدبية حين يعتبر النص الأدبي شبكة تداولية عرفانية.

(1) دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة: ميشال زكريا، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط.١، ٢٠٠٨م، ص٤٢-٤٣.

٥-الدلالة

إن النص "من حيث دلالته؛ هو شبكة معطيات؛ ألسنية وبنيوية وأيديولوجية كلُّها تسهم في إخراج النص إلى حيِّز الفعل والتأثير"[١]، إنّ الكشف عن المعنى لا يكون إلاّ بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة، إذ يتحصّل المعنى بحُكم العَلاقة بين الألفاظ وما يجاورُها. وإنّ دراسة المعنى تتطلّب تحليلاً واعياً للسياقات والمواقف التي ترد فيها الألفاظ حتى ما كان منها غير لغوي، فقد دَعت إلى اعتماد المقام أو العناصر المحيطة بالموقف الكلامي، مثل طبيعة الكلام ودَلالاته المختلفة، وأثره الفعلي على المتلقّي، وشخصيّة المتكلّم والمتلقّي والظواهر اللغويّة الاجتماعيّة المحيطة بالنصّ، والتحليل التداولي للخطاب بهذه الصيغة يخرج النص إلى حيز الفعل والتأثير في المتلقي.

إن الدلالة التداولية لا تتشكل من مجرد الصيغة الملفوظة أو المكتوبة وحسب؛ لأن "بيان المعنى اللغوي لكلمة ما يتحقق بدراستها دراسة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، يتمثل الجانب الأول في كونها مركبة من أصوات منتظمة انتظاما معينا. ويتمثل الجانب الثاني من معنى الكلمة في كونها اسما أو فعلا أو حرفا. ويتمثل الجانب الثالث في بيان خصائصها النحوية من حيث جواز وقوعها في مواقع معينة في الجملة وارتباطها بغيرها من الكلمات التي تسبقها أو تلحقها، ويأتي الجانب الرابع لتحديد دلالتها في سياقات متعددة تحديدا دقيقا"[٢].

إن معرفة معنى الكلمة، سواء المعنى المعجمي، أو ذلك المعنى المتعلق بالوحدة الصرفية التي تمثلها الكلمة، أو معنى الكلمة ودلالتها المحددتين حسب موقعها من التركيب النحوي للجملة، وحسب موقعها

---

(١) عبد الملك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، الجزائر: منشورات دار هومة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧، ص٥٧.

(٢) كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠م، الجزء الأول، ص٩٢.

النصي، وحسب مقامها، كل هذه عمليات ذهنية عرفانية؛ فالإدراك الذهني يسهم في إكساب النصوص معانيها، "ونحن نفهم الإدراك الذهني على أنه يكفل الوظائف التالية:

١- وساطة الإشارات العصبية عن طريق شفرة داخلية أو أكثر "تحويل الإشارات العصبونية في المعلومة عبر عملية تشفيرية".

٢- تخزين المحتويات المشفرة.

٣- توليد محتويات جديدة عن طريق النشاط الداخلي "الاستباق؛ فاعلية ربط السوابق والنتائج حتى في غياب مثير خارجي محدد".

٤- تفعيل أو تثبيط مثل هذه المحتويات الداخلية "الاختيار، القرار"[١]

والمعنى كما هو عملية ذهنية عرفانية إدراكية؛ فإنه أيضا يعتمد على الجوانب المقامية؛ لأنه حين تدخل الكلمات في جمل فإن التغير الدلالي الذي يطرأ على الكلمة حين تدخل في جمل وفي نصوص يعتمد في معرفته وتبيانه على أمرين؛ الأول هو السياق الداخلي، والثاني هو السياق الخارجي أو ما يعرف بمجموع سياقات المقام، حيث إن إنشاء المعنى أو المقصد عند التداوليين يقع في دائرة الوظيفة التعالقية للغة التي تعني أن اللغة حين ينطقها المتكلم وتصل للمتلقي تتّخذ أحد الأدوار الاجتماعية (السياقات الخارجية) بالنسبة لكليهما مثل دور المخبر أي الذي يستخدم الكلام لغرض الإخبار أو دور المستفهم الذي يسأل بغية المعرفة بالموضوع موطن السؤال أو الاستزادة من المعرفة حوله ودور الآمر، "ومن اتبع هذا الطريق من المنظرين إنما كان يرى بأن التصور الأساسي لنظرية الدلالة يقوم على أن المتكلم -وبوجه عام القائل قولا ما- يريد أن

---

(١) محيي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستمولوجية وجهات تطبيقية، عمان – الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ -٢٠١٧م، ص٦٧.

يوصل شيئا بقوله الذي يوجهه إلى مستمعيه في مقام مخصوص وبمناسبة خاصة. فإثبات حكم ما إنما يوقعه ويحدثه المخبر أو القائل للقول"[1].

إذن المتكلم حين ينشئ رسالته اللغوية فإنه يسعى من خلالها إلى إصدار حكم ما من وراء العملية الكلامية أو الكتابية؛ هذا الحكم يحكم تفسيره تلك السياقات والوظائف التعالقية للغة التي تحكم عملية تأويل الدلالة واستنباط المعنى من وراء الخطاب. وكما سبق أن بينا فإنه لفهم أفعال الكلام المتضمنة في التلفظ أو حتى الكتابة؛ فإنه لا بد من استنباط ذلك من خلال السياق الداخلي للنص أي السياق اللغوي، ومن خلال السياق الخارجي المتمثل في مجموع سياقات المقام التي تحيط بإنتاج النص؛ حتى يتبين أنَّ أي وظيفة من وظائف العملية الكلامية، يقصدها منشئ الخطاب ومُصدِرُ فعل القول، وأي دلالة يريد إنجازها، وأي رسالة يريد تبليغها؛ وهذا لب المقاربة التداولية.

(١) ستروسن، الدلالة وقيمة الصدق، بحث منشور ضمن كتاب المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني، الدار البيضاء – المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م، ص٨٠.

خاتمة القسم النظري

تبين من هذا القسم النظري أن التداولية و العرفانية تُعنى باللغة في الاستعمال الحي لها، حيث ينطق بها المتكلمون أو ينشئون نصوصهم المكتوبة من أجل التواصل وإنجاز الحاجات، وأن هذه العملية تمر بمراحل معينة يدرسها علم النفس العرفني مثل التصور والمفهمة والإطار العام الذي يحكم العملية اللغوية كلها. فالتداولية والدراسات اللغوية المعاصرة المرتبطة بها تعتبر عملية إنتاج اللغة أو ما يعرف بالفعل اللغوي هو ناتج تكلم لغة ما من اللغات لغرض استعمالي إنشائي. وتكلم اللغة لغرض استعمالي ينتج عنه مجموعة من الأفعال تتمثل – على وجه العموم – في أفعال التأكيد والأمر والوعيد والوعد والعملية الاستفهامية المتمثلة في إثارة الأسئلة وغير ذلك من أفعال الكلام؛ ودراسة أفعال الكلام من الناحية التداولية تتمثل في دراسة أغراض الكلام التي يهدف إليها المتكلم أو الناطق باللغة في إنتاجه لكل فعل من أفعال الكلام السابقة.

وتبين كذلك أن التداولية كما تدرس اللغة في مجالها الاستعمالي فإنه من الممكن أن تدرس النصوص الأدبية باعتبار المقصد التواصلي أو الغرض الذي يريد الأديب توصيله لجمهور المتلقين من وراء إنشائه نصه الأدبي، وأن المقاربةالتداولية والمقاربةالعرفانية تعتبران من المقاربات ذات القدرة العالية على استجلاء مقاصد الأديب في نصه الأدبي؛ حيث المقصدية هي الرابط بين العرفانية والتداولية والجسر الموصل لمقاربة النص الأدبي باستخدام التداولية والعرفانية.

ومن المرتكزات الأساسية التي تقوم على أساسها المقاربة العرفانية التمييز بين المجتمع المثالي للتواصل وبين المؤسسات التي لا مفر منها؛ "إذ يبقى موقف الكلام محدودا –من جهة– بالذاتية المحضة إذ اللغة تأخذ طريقها عبر صدق المتكلم؛ ومن جهة أخرى عبر المعايير التي تسبق العلاقة ذاتها وينضاف إلى ملامح الذاتية هاته ملامح التمثيلية: إذ يمثل ملفوظ الجملة أهمية المتكلم، والملامح السوسيولوجية، حيث يأخذ

نشاط التواصل معياره من خلال نمط المجتمع الذي ينتشر فيه، لحد أن شروط إمكانية المعنى تبقى هي الشروط الاجتماعية نفسها للإنجاز"[1].

ولذلك تعتمد المقاربة التداولية للغة على الربط بين الجانب الذاتي عند المتكلم أو منشئ النص وبين المتعاليات الاجتماعية الغيرية، بينما تقوم المقاربة التداولية للأدب على دراسة "الظواهر الأدبية والثقافية والفنية في ضوء التداوليات اللسانية، ويعني هذا أن المقاربة التداولية تدرس النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق التواصلي، والتركيز على أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلي والتلفظي. وبهذا تكون التداوليات قد تجاوزت سؤال البنية وسؤال الدلالة، لتهتم بسؤال الوظيفة والدور والرسالة والسياق الوظيفي. كما تعنى المقاربة التداولية بفهم العلاقات الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين؛ لأن البعد التداولي ينبني على سلطة المعرفة والاعتقاد"[2].

إن المقاربة العرفانية تقوم على وصف النصّ "بواسطة مبادئ غير لسانية... فمن الضروري أن نضيف إلى المعلومات اللغوية التي ينقلها القول معلومات غير لغوية (تسمى سياقية) ضرورية للعملية الاستدلالية"[3]. ويكون الربط بين المكونات اللغوية والمكونات السياقية غير اللغوية عن طريق عمل الذهن المدرك الواعي في بث القصد من جهة المرسل، وفي استجلاء القصد من جهة المتلقي.

ومن هذا المنطلق يتّضح أنّ المقاربة التداولية "تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص ... وتهتم التداوليات أيضا بالمرجع والإحالة التي تم إقصاؤها من

([1]) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، بيروت: مركز الإنماء القومي، د.ت، ص٨١.

([2]) جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، شبكة الألوكا، ط.١، ٢٠١٥م، ص٤.

([3]) جاك موشلار وآن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الباحثين من الجامعات التونسية، بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، تونس: المركز الوطني للترجمة، ٢٠١٠م، ص٢٦.

فرديناند دي سوسير، الذي حصر العلامة في الدال والمدلول. ومن ثم ترفض المقاربة التداولية في مجال الأدب والنقد التركيز على البنيات الشكلية والجمالية، دون مساءلة أفعال الكلام والمقصدية الوظيفية. فضلا عن ذلك تدرس المقاربة التداولية اللغة العادية واللغة الإنشائية (اللغة الشعرية واللغة الروائية واللغة الدرامية ..)، وحضور الأنا والأنت، والسياق التواصلي، والوظيفة المقامية والمقالية، والانتقال من الحرفي إلى الإنجازي، ودراسة الحجاج في النصوص والخطابات التي يكون هدفها هو الإقناع الذهني والتأثير العاطفي والوجداني، وأيضا دراسة السرد الإقناعي كما عند جريماس، وخاصة في خانة التطويع والتحفيز المبنية على فعل الاعتقاد، وفعل التأويل، وخانة الكفاءة المبنية على منطق الجهات (وجود الفعل، ومعرفة الفعل، وقدرة الفعل، وإرادة الفعل). وعليه، فالمقاربة التداولية هي دراسة اللغة في علاقة مع مستعمليها"[1].

ومن الواضح اعتمادا على جميع ما تقدّم أنَّ المقاربة التداولية تدرس اللغة الأدبية في مستوى خاص من مستويات استعمالها، وهو المستوى الأدبي، والذي يلتزم بالسمات العامة لمستويات الاستخدامات الأدبية من جهة، ومن جهة أخرى يمتاح –أو بالأحرى تمتاح اللغة الأدبية– من ذات الأديب وهويته الخاصة وطرقه الخاصة في الاستخدام الخاص للغة الأدبية، أي إن اللغة الأدبية مستوى خاص من مستويات الاستخدام اللغوي، ولغة الأديب هي استخدام خاص من الأديب لهذا المستوى الخاص؛ وهذه هي "الخاصية النصية التي لا بد لأي قطعة من الكلام أن تتضمنها لكي تكون نصا، والتي تعتمد –في جانب كبير منها– على علاقات تداولية، تتمثل في العلاقات الخارجية التي تحكم النص، والتي يطلق عليها دي بوجراند "سياق الموقف"، الذي يشمل المحيط الثقافي والاجتماعي والمعرفي والتاريخي"[2].

([1]) جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص٧.

([2]) جبار سويس الذهبي، النص والتواصل ملامح من تداولية الخطاب، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط١، ٢٠١٢م، ص٩٦.

القسم التطبيقي

تطبيقات الزناد للمقولات "العرفانية" في دراسة النصوص الأدبية

تمهيد

بعد أن قدّمنا في القسم الأوّل من البحث الجانب النظري للعرفانية بتوضيح أهمّ المفاهيم والمصطلحات الأساسية وبإلقاء الضوء على الناحية المنهجية وكيفية توظيف المدخل العرفاني في مقاربة النصوص، نحاول في هذا القسم الثاني التركيز على المستوى التطبيقي بالاعتماد على نماذج اخترناها من كتب الأزهر الزناد.

ويحسن قبل دراسة هذه النماذج التطبيقية التعريف أوّلا بالأزهر الزناد وتقديم مؤلفاته التي استقينا منها النماذج المدروسة. وسنعرض باختصار سيرته الذاتية ونعرّف بأهمّ مؤلفاته.

الأزهر الزناد أستاذ وباحث تونسي متخصّص في اللسانيات حاصل على الأستاذية في اللغة والآداب العربية من الجامعة التونسية سنة ١٩٨٢، فشهادة الكفاءة في البحث سنة ١٩٨٣، فالتبريز سنة ١٩٨٤، فشهادة الدراسات المعمقة في اللسانيات من جامعة باريس سنة ١٩٩٣، فدكتوراه الدولة من الجامعة التونسية سنة ١٩٩٨.

أنتج الأزهر الزناد في مسيرته العلمية كتبا وبحوثا عديدة، تدور حول قضايا لسانية متنوّعة، فمن كتبه نذكر:

- الإشارات النحوية، بحث في تولّد الأدوات والمقولات النحوية من الأصول الاحادية الإشارية في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة ٢٠٠٥.
- نسيج النّص، بحث في ما به يكون الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي،١٩٩٣.
- دروس في البلاغة العربيّة، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣

- فصول في الدّلالة ما بين المعجم والنّحو، دار محمد علي الحاميّ (تونس)، الدار العربية للعلوم ناشرون (لبنان)، دار الاختلاف (الجزائر) ٢٠١٠.

- نظريّات لسانيّة عرفنيّة، الدار العربيّة للعلوم ناشرون (لبنان)، دار محمد علي الحاميّ (تونس)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ٢٠١٠.

- النّصّ والخطاب، مباحث لسانيّة عرفنيّة، مركز النشر الجامعي (تونس)، دار محمد علي للنشر(تونس)، ٢٠١١.

- انتظام الأسماء في العربية: الجمع نموذجا، درا نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤.

- اللّغـة والجسـد، درا نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤.

- الفعل في اللغة العربية: بحث في تولد الصيغ وانتظامها، درا نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤.

- المنوال الاحتمالي في انتظام المعجم العربي: الأسس والمبادئ (الجزء الأول) درا نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤.

- المنوال الاحتمالي في انتظام المعجم العربي: نماذج تحليلية (الجزء الثاني) درا نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤.

وللزناد فضلا عن هذه الكتب مجموعة من البحوث المنشورة في مجلات علمية مختلفة، ومن بين هذه البحوث نذكر:

- حفريّات تاريخيّة في المعجم الذّهنيّ العربيّ: مادّة (ص ف ر) نموذجا، حوليّات الجامعة التّونسيّة (عدد خاصّ: أعمال مهداة إلى روح الأستاذ الفقيد: أحمد عبد السّلام)، ٥٢-٢٠٠٧. ص ص ٩٩-١٤٤.

- استرسال الصّوت، استرسال الدّلالة: مقولة الجمع نموذجا، حوليّات الجامعة التّونسيّة، ٤٩-ص ص ٣٣-٧٤

- المنوال الاحتمالي في انتظام الجذور في المعجم العربيّ: ظاهرة التضعيف نموذجا، حوليات الجامعة التونسيّة، ٢٠٠٣، ٦٣-١٠٨

- الاشتراك بين المعجم والنّحو: المنوال الاحتمالي في تكوّن المعجم وانتظامه

- مجلة المعجميّة، العددان ١٨-١٩، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ٢١٣ -٢٤٦

- التّعبير عن الكمّيّة في اللغة العربيّة بين المعجم والنّحو، مجلّة المعجميّة، العددان ١٢ -١٣، ١٩٩٦-١٩٩٧، ص ص ١٧٣-٢١٠

- ظاهرة الاتّساع في الدّلالة المعجميّة، حوليّات الجامعة التونسيّة، ٣٦، ١٩٩٥، ص ص ١٧٣-٢١٠، ١٩٩٣

- مراتب الاتّساع في الدلالة المعجميّة، مجلة المعجميّة، ٩-١٠، ١٩٩٣-١٩٩٤، ١٦٩-٢٠٢. ١٩٩٠

- القراءة بين الكلمات: بحث في تجليات البنية الاجتماعيّة والاقتصاديّة من خلال الخطاب الإشهاريّ لدى الباعة المتجوّلين، الحياة الثقافيّة (تونس)، ٥٥-١٩٩٠.

- في بنية الخطاب الهزلي في شعر حسين الجزيري الشرق والغرب في الأدب التونسيّ الحديث (أعمال ملتقى فريد غازي الثّاني بجربة)، دار الجنوب للنّشر، تونس، ١٩٩٠. ص ص ٣١-٥٠.

ومن مجموع هذه الأعمال الغزيرة والمتنوّعة التي ألّفها الأزهر الزناد اخترنا النماذج التي سنشتغل بها في هذا المستوى التطبيقي من كتابين هما:

- كتاب نظريات لسانية عرفنية الصادر سنة ٢٠١٠.
- كتاب النصّ والخطاب الصادر سنة ٢٠١١.

وقد اخترنا من هذين الكتابين التوقف عند ثلاثة نماذج تطبيقية حاول فيها الزناد تطبيق مقولات تداولية عرفنية على نصوص أدبية مختارة، وسنخصّص لكلّ نموذج فصلا مستقلا على النحو التالي:

- الفصل الأوّل: المعرفة الموسوعية في النصّ: المقامة الحلوانية نموذجا
- الفصل الثاني: الاستعارة المفهومية مدخلا للقراءة العرفانية
- الفصل الثالث: نظرية الأفضية الذهنية وتطبيقاتها

الفصل الأوّل

المعرفة الموسوعية في النصّ: المقامة الحلوانية نموذجا

وردت دراسة الزناد للمقامة الحلوانية ضمن كتابه النصّ والخطاب[١] ويحمل هذا الكتاب عنوانا فرعيا هو "مباحث لسانية عرفنية"، وقد أعلن المؤلف في مقدّمة كتابه أنّه يواصل فيه ما بدأه في كتاب نسيج النصّ من حيث الموضوع والقضية الكبرى، ويبدو ذلك في التحوّل من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية. ويأتي هذا التحوّل ليعلن الانتقال من الاهتمام بالجملة إلى دراسة الخطاب، ومن الاقتصار على الشكل إلى العناية بالدلالة. وقد تجلّت ملامح هذه النقلة النوعية في اللسانيات الغربية بداية من ثمانينات القرن الماضي بظهور أعمال لايكوف[٢] ولانقاكر[٣] وطالمي [٤]وفوكونياي[٥].

يستند الزناد إلى نظريات هؤلاء الأعلام محاولا أن يتّخذ منها إطارا نظريا عاما يسميه "الإطار العرفني" يحاول أن يستمدّ منه الآليات لمقاربة النصوص مقاربة جديدة، فهو يتّخذ منحى يجمع فيه بين التقديم النظري والممارسة الإجرائية، فيتّخذ منحى يجمع بين مدخلين متكاملين، على حدّ تعبيره: "أدوات نظرية ثابتة في الدراسات العرفنية يكون بها استجلاء بعض المظاهر العرفنية الموجّهة للنصّ بناء وتأويلا، هذا من جهة، ومن أخرى النصّ مادة تستجلى منها المظاهر العرفنية لتستقلّ بذاتها في التصوّر."[٦]

فالمنحى الذي يتّبعه الزناد إذن هو منحى جدلي، تتفاعل فيه القراءة ما بين النظرية والنصّ، أي أنّه يتّخذ المعطيات النظرية التي استقرّت في النظريات العرفانية منطلقا لمقاربة النصوص، وفي الوقت نفسه، يعمل

---

(١) الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، ص ٨٧.

(٢) جورج لايكوف (وُلد سنة ١٩٤١ بالولايات المتحدة الأميركية) أستاذ اللسانيات المعرفية بجامعة كاليفورنيا (بيركلي). عُرف بأطروحاته حول الاستعارة التصورية إذ اعتبرها آليةً من الآليات المركزية في الفكر البشري، من أهمّ أعمال لا يكوف، الاستعارات التي نحيا بها سنة ١٩٨٠، ونظرية الاستعارة المفهومية سنة ١٩٨٧

(٣) رونالد لانقاكر (ولد عام ١٩٤٢) أستاذ اللسانيات بجامعة كاليفورنيا من مؤسسي اللسانيات العرفانية، من مؤلفاته: أسس النحو العرفني ١٩٨٧. والنحو والمفهمة ١٩٩٩ وخطاب في النحو العرفني ٢٠٠١.

(٤) ليونارد طالمي، أستاذ اللسانيات والفلسفة بجامعة بيفانو بنيويورك، من مؤلفاته نحو دلالة عرفنية ٢٠٠٠.

(٥) جيل فوكونياي، (ولد عام ١٩٤٢) لساني فرنسي وباحث في العرفانية بجامعة كاليفورنيا صاحب نظرية الأفضية الذهنية، ١٩٨٥.

(٦) الزناد، النصّ والخطاب، ص ١٢.

على توسيع المفاهيم العرفانية والإضافة إليها من منطلق ما تبوح به النصوص عند القراءة. وبناء على ذلك فإن دراسة طريقته في تناول النصوص لا بدّ أن تراعي هذا التفاعل بين النظرية والإجراء، وإذا تأملنا في قراءته للمقامة الحلوانية لا حظنا أنّه اعتمد على مفهوم عرفني هو مفهوم المعرفة الموسوعية، وحاول توظيفه في قراءة نصّ المقامة متدرّجا في ذلك من التأسيس النظري إلى المقاربة الإجرائية ومحاولا، في الوقت نفسه، تجلية المفهوم وإثرائه انطلاقا من النصّ.

١ – التأسيس النظري: مفهوم "المعرفة الموسوعية"

"المعرفة الموسوعية" مصطلح عرفاني يقابل مصطلح "المعرفة الجزئية"، وكلّ منهما يطلق على مرتبة من مراتب المعرفة، فالمعرفة الجزئية نووية تفكيكية تكون في الوحدات الجزئية، بينما المعرفة الموسوعية عامّة تكون في المعرفة بالكون من زاوية ثقافية اجتماعية، والقول بالبعد الثقافي الاجتماعي للمعرفة يتأسس على مبدأ تداولي يربط ما بين اللغة والاستعمال. فكلّ عبارة لغوية تبدو عند التحقيق في دلالاتها شبكة من المفاهيم المترابطة على المستوى التجريدي ولكنّها تعبّر عن جملة من الأوضاع المادية الواقعية التي تظهر عند الاستعمال.

ويقسّم لا نقاكر المعرفة الموسوعية إلى أربعة أنواع أساسية: تواضعية وجامعة وذاتية ومميزة، ولكل نوع خصوصياته: فالتواضعية مشتركة بين أفراد الجماعة اللغوية، والجامعة هي التي تنطبق على الكثير من النماذج، والذاتية خصيصة داخلية تخصّ العنصر في ذاته، أمّا المميّزة فاقترن بعنصر دون سواه. وللتمثيل على هذه الأنواع في تراتبها اعتمد الزناد عبارة رأس فأوضح أن هذه العبارة تستجيب لهذا التصنيف الرباعي على النحو الذي يبيّنه الشكل التالي:

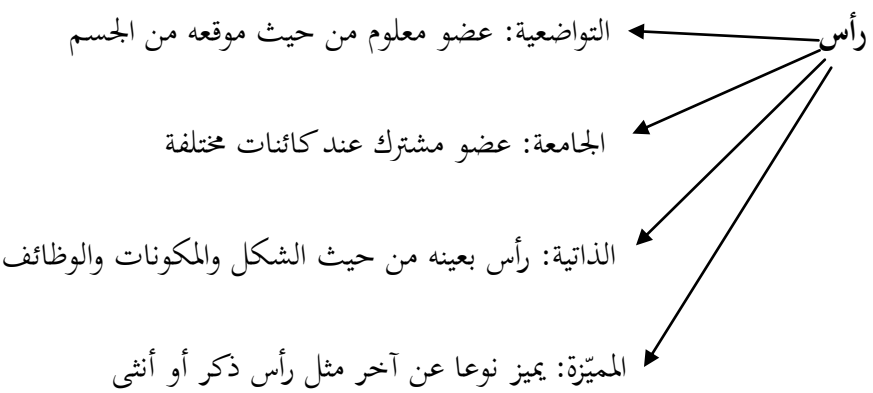

يتّضح من هذا الرسم أن العبارة الواحدة وفق التحديد العرفي هي ملتقى مفاهيم متراتبة تتعلّق إمّا بالمرجع الذي تحيل عليه العبارة أو بالسياق الذي تتداول فيه أو بالطريقة التي تدرك بها، وهذا ما يجعل الدلالة متحرّكة وليست ثابتة، ولذلك فإنّ الوحدة المعجميّة، في رأي الزناد مستندا إلى منظّري العرفانية، ليست "مجرّد حاوية أو خزّان يتضمّن جملة من المعلومات الفردية أو حزمة من الخصائص الدلالية الجاهزة ... بل لا معنى للوحدة المعجمية في ذاتها خارج كلّ سياق أو مقام، وإنّما هي مدخل أو نقطة اهتداء تنفتح على شبكة المعرفة الموسوعية في امتدادها واتّساعها."[1]

إنّ هذا الفهم للعبارة المعجمية من منظور المعرفة الموسوعية يستند إلى مبدأ أساسي من مبادئ العرفانية في فهم اللغة وتحليل الخطاب هو مبدأ التجذّر الابستيمي (Epistemic grounding) الذي يعني أنّه لا يمكن فهم الكلام إلاّ متجذّرا في حال معرفيّة بالأشياء وبالكون. وآليات التجذّر الابستيمي متعدّدة، منها ارتكاز المعروض على الأساس، والمعروض هو العبارة بما هي جزء والأساس هو الكلّ الذي تتّصل به، المثال على ذلك أن عبارة "أخ" أساسها العائلة أو إصبع أساسها اليد أو عين أساسها الرأس... ومن الآليات كذلك مفهوم البروز النسبي أي أن العبارة تشير إلى مدلول بارز تحيط به مدلولات أخرى خافتة وأقلّ منه بروزا.

(1) الزناد، النص والخطاب، ص ٢٥.

ومن آليات التجذّر الابستيمي للعبارة مفهوم "الإطار" (Frame)، وهو يطلق على مجموع المعارف والعناصر والمفاهيم التي تستصحبها العبارة الواحدة، فعبارة "نادل" مثلا لا يمكن تصورها إلا داخل إطار متكامل (مطعم، مطبخ، طاولات، زبائن، أطعمة، ملاعق، كؤوس...) ولهذا الإطار بيئة كاملة نشأ فيها، وهو ما يعني أنّ للإطار مستوى مفهوميا يتعلّق به ومستوى ثقافيا يتصل ببيئة الإطار الاجتماعية.

ويرتكز التجذّر الابستيمي كذلك على مبدأ آخر اصطلح عليه بالمنوال العرفي المؤمثل (Ideal cognitive model) ويطلق هذا المصطلح على أبنية خطاطية بها يدرك البشر الكون من حولهم مثل تصنيف الموجودات إلى أنواع وتنضيد المعارف المتّصلة بها.

وبالاعتماد على مبدأ التجذّر الابستيمي بآلياته يتّضح أن العبارة المعجمية تحمل معرفة موسوعية، وهو ما يجعل المعنى المقترن بها له ثلاثة أوجه مترابطة: فهو معنى موسوعي (Encyclopedic meaning) أي يخضع للترتيب الرباعي للمعرفة (التواضعي والجامع والذاتي والمميّز)، وهو معنى سياقي (Contextual meaning) أي أنّه متحقّق في الاستعمال، وبما أن الاستعمال يجري في مقام مخصوص فهو كذلك معنى مقامي (Situated meaning).

إن تعدّد المعاني وتفرّعها يؤكّد أنّ العبارة المعجمية الواحدة تعبّر عن رصيد من المعاني الممكنة والمحتملة والتي تتأثر بمعطيات سياقية ومقامية مختلفة تتداخل وتتفاعل ولعلّ من أبرز هذه المحدّدات:

- موقع العبارة من المعارف المشتركة
- موقع العبارة في سياق الجملة
- ما يصاحب العبارة من ظواهر صوتية إيقاعية مثل التنغيم والنبر

- الإطار المادي المحيط بعملية القول

- نوع العلاقة بين المتخاطبين.

ومن هذا المنطلق تؤكّد العرفانية أنّ الوحدة المعجمية هي عبارة عن حاوية تتضمّن إمكانيات دلالية متنوّعة، وعند الاستعمال يختار المتكلّم والسامع من تلك الإمكانيات ما يتطلبه السياق. ولذلك فإنّ بناء الخطاب أو فهمه لا يمكن أن يعتمد على المعاني الجزئية لألفاظ الكلام بل يتطلّب تنشيط شبكة المفاهيم التي ترتبط بكل وحدة، وهذه الشبكة هي التي نطلق عليها مصطلح المعرفة الموسوعية.

ولما كان الإنسان المتكلّم كائنا تاريخا متغيّرا بتغيّر الزمان والمكان وكانت معارفه متطوّرة ومتجدّدة كان لا بدّ من الإقرار بأن المعرفة الموسوعية هي معرفة حركية تنمو باطّراد وتتجدّد باستمرار، ولذلك فإنّ الرجوع إلى المعجم لا يكفي لتحديد الدلالة التي تتشكّل في الخطاب، فالدلالة المعجمية هي، في الغالب دلالة جزئية، لأنّها تتوقّف في حدود بعض الاستعمالات ولا تشملها جميعا أمّا الدلالة العرفانية فهي دلالة موسّعة لأنّها مفتوحة على الأبعاد التداولية وتحاول أن تحيط بالمعرفة الموسوعية في تشعّبها واستمراريتها.

ولاختبار مفهوم المعرفة الموسوعية وبيان مدى انطباقه على الكلام اختار الزناد المقامة الحلوانية لبديع الزمان الهمذاني نموذجا حاول من خلاله أن يبيّن مظاهر انتظام المعرفة الموسوعية في بناء الخطاب وفي تأويله.

وسنتوقّف عند مقاربته لهذا النصّ قصد تبيّن العلاقة بين الجهاز النظري والإنجاز، فإلى أيّ مدى استجاب نصّ المقامة لمفهوم المعرفة الموسوعية؟

٢- التناول الإجرائي: "المعرفة الموسوعية" في "المقامة الحلوانية"

اختار الزناد نموذجه التحليلي من التراث العربي لأنّه يستهدف في كتابه الإسهام في بناء ما سمّاه بـ"العرفنية العربيّة" التي هي جزء من العرفنيّة الإنسانية بشكل عام، ويكون ذلك، حسب تقديره، بتجاوز "العروض النظرية التي يكون بها نقل المعرفة إلى توظيفها والإفادة منها"، خاصّة وأنّ النصوص هي معطيات خطابية تصلح لاختبار المفاهيم النظرية لإقرارها أو تعديلها وتحويرها أو بيان قصورها وإبطالها، وبذلك "نتجاوز نقل المعرفة نقلا مجرّدا وتطبيقها تطبيقا حاجّيا أو نفعيّا إلى المساهمة في بناء المعرفة وإنتاجها."([1])

وإذا كان هذا هو المقصد الأسنى الذي رنا الزناد إلى بلوغه فإنّ الباحث في أعماله لا بدّ أن يحاول الإجابة عن سؤالين أساسيين:

- كيف وظّف الزناد المفاهيم النظرية في مقاربة النصوص؟
- وإلى أيّ مدى استطاع أن يتجاوز نقل المعرفة إلى المساهمة في بنائها وإنتاجها؟

لا شكّ في أنّ الإجابة عن السؤال الأوّل المتعلق بكيفيّة التوظيف يستدعي اعتماد طريقة وصفية تحليلية بتتبّع الخطوات الإجرائية وتوضيح العلاقات بينها والنتائج التي قادت إليها، أمّا الإجابة عن السؤال الثاني فتقتضي عملا تقييميا يستند إلى معايير ومؤشرات دالة تحدّد مدى تحقيق النتائج للأهداف والمقاصد.

([1]) الزناد، النصّ والخطاب، ص١٢.

أ- الخطوات الإجرائية

اتّبع الزناد في تحليله للمقامة الحلوانية مجموعة من الخطوات المنهجيّة يمكن أنّ نوجزها في أربع خطوات هي: تحديد الهدف، اختيار العينة، تحليل العينة، استخلاص النتائج.

- **تحديد الهدف**: أعلن الزناد منذ البداية أنّ هدفه من التحليل هو "تبيّن مظاهر الانتظام في المعرفة واشتغالها في بناء الخطاب وفي تأويله" ويمكننا تجزئة هذا الهدف المعلن إلى هدفين متكاملين:

  - أوّلهما محاولة استجلاء مظاهر انتظام المعرفة الموسوعية، وهو ما يطلق عليه الزناد مصطلح التنضيد

  - ثانيهما البحث في كيفية اشتغال مظاهر المعرفة الموسوعية في إنتاج الخطاب وتأويله، أي في البعد التواصلي للخطاب.

ونتبيّن من هذين الهدفين أنّ الزناد استدعى نصّ المقامة الحلوانية تحديدا، وإن كان يصرّح بأنّها تعدّ نموذجا من كثير، لسبب رئيسي يتمثّل في أنّها تتوفّر على مظاهر تدعّم مفهوم المعرفة الموسوعية ويؤكّده.

- **اختيار العينة**: لئن كانت "المقامة الحلوانية" هي النموذج التحليلي التي يستحضرها الزناد فإنّ العينة الإجرائية التي سيستند عليها التحليل ليس النصّ بأكمله بل عيّنة مختارة منه هي مفهوم "الرأس." وقد بيّنا في ما سبق أن الزناد عند تقديمه لمراتب المعرفة الموسوعية استند إلى مثال محدّد هو كلمة "الرأس"، وبهذا يتّضح من البداية وجود علاقة رابطة بين التأسيس النظري والتحليل الإجرائي، فكلمةالرأس هي قاسم مشترك بين التنظير والتطبيق.

إن ما يبرّر اختيار كلمة الرأس والتركيز عليها أنّها مثلت في "المقامة الحلوانية" كلمة مركزية تكرّرت في النص في مواضع عديدة واستأثرت بحيّز كبير من المحاورة بين الشخصيات كما يبيّنه المقطع التالي من المقامة:

"... وَمَا لَبِثَ أَنْ دَخَلَ الأَوَّلُ فَحَيَّا أَخْدَعَ الثَّانِي بِمَضْمُومَةٍ قَعْقَعَتْ أَنْيابَهُ، وَقَالَ: يَا لُكَعُ، مَا لَكَ وَلِهَذا الرَّأْسِ وَهُوَ لي؟ ثُمَّ عَطَفَ الثَّاني عَلى الأَوَّلِ بِمَجْمُوعَةٍ هَتَكَتْ حِجَابَهُ، وَقالَ: بَلْ هَذَا الرَّأْسُ حَقِّي وَمِلْكِي وَفِي يَدِي، ثُمَّ تَلاكَمَا حَتَّى عَيِيَا، وَتَحَاكَمَا لِما بَقِيا، فَأَتَيا صَاحِبَ الحَمَّامِ، فَقَالَ الأَوَّلُ: أَنَا صَاحِبُ هَذا الرَّأْسِ؛ لأَنِّي لَطَّخْتُ جَبِينَهُ، وَوَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَهُ، وَقَالَ الثَّاني: بَلْ أَنَا مَالِكُهُ؛ لأَني دَلَكْتُ حَامِلَهُ، وَغَمَزْتُ مَفَاصِلَهُ، فَقَالَ الحَمَّامِيُّ: ائْتُوني بِصَاحِبِ الرَّأْسِ أَسْأَلهُ، أَلَكَ هذَا الرَّأْسُ أَمْ لَهُ، فَأَتَيَانِي وَقَالا: لَنَا عِنْدَكَ شَهَادَةٌ فَتَجَشَّمْ، فَقُمْتُ وَأَتَيْتُ، شِئْتُ أَمْ أَبَيْتُ، فَقَالَ الحَمَّامِي: يَا رَجُلُ لاَ تَقُل غَيْرَ الصِّدْقِ، وَلا تَشْهَدْ بِغَيْرِ الحَقِّ، وَقُلْ لِي: هذَا الرَّأْسُ لأيِّهِمَا، فَقُلْتُ: يَا عَافَاكَ اللهُ هذَا رأْسِي، قَدْ صَحِبَنِي فِي الطَّرِيقِ، وَطَافَ مَعِي بِالْبَيْتِ العَتِيقِ، وَمَا شَكَكْتُ أَنَّهُ لِي، فَقالَ لِي: اسْكُتْ يا فُضُولِيُّ، ثُمَّ مالَ إِلى أَحَدِ الخَصْمَيَنِ فَقَالَ: يَا هَذَا إِلَى كَمْ هَذِهِ المُنافَسَةُ مَعَ النَّاسِ، بِهذَا الرَّأْسِ؟ تَسَلَّ عَنْ قَلِيلِ خَطَرِهِ، إِلى لَعْنَةِ اللهِ وَحَرِّ سَقَرِهِ، وَهَبْ أَنَّ هَذا الرَّأْسَ لَيْسَ، وَأَنَا لَمْ نَرَ هذَا التَّيْسَ..."[1]

والمتأمّل في هذه الفقرة يلاحظ بيسر أنّ اختيار كلمة "الرأس" يبدو اختيارا مبرّرا، فهي تتكرّر في النصّ على نحو لافت، وتمثّل موضوعا للحوار والتنازع بين الشخصيات، وهذا التنازع من شأنه أن يكون سببا لتنشيط معارف مختلفة بين المتحاورين. ونتيجة لذلك تبدو كلمة "الرأس" مركز استقطاب دلالي في النصّ، فهي بمثابة البؤرة الجامعة التي ينطلق منها الخطاب ويعود إليها.

([1]) بديع الزمان الهمذاني، المقامات، تحقيق وشرح محمد عبده، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥. ص ١٩٨-١٩٩.

●**تحليل العينة:** أقام الزناد تحليله للعينة المختارة على مجموعة من المفاهيم الإجرائية ذات المرجعية العرفانية، وحاول توظيفها في استكناه مظاهر المعرفة الموسوعية وتجلياتها في كلمة الرأس، ومن أبرز المفاهيم الواردة في ثنايا التحليل: المقام والسياق والخطاب والإطار

- **المقام:** من الناحية اللغوية ورد في "معجم المعاني الجامع" أن المقام اسم والجمع :مقامات، والمَقَامُ: مَوضع القَدَمين والمجلسُ، وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين رفع بناء البيت والمقام في قولك: في هذا المقام: في هذه المناسبة، وفي الموسيقى سُلَّم الموسيقى، تَسَلْسُل النَّغم درجة فوق أُخرى وعلامة موسيقيَّة والمقامات في الفلسفة والتصوُّف حالات ثابتة ينالها السّالكُ بجهده الخاصّ أهمها التَّوبة والورع والزُّهد والفقر والصَّبر والتَّوكّل والرِّضا، وقَامَ مَقَامَهُ: أَخَذَ مَكَانَهُ.

أمّا من جهة الاصطلاح اللساني فالمقام يطلق على مجموع المعطيات والظروف المحيطة بالخطاب، وقد حدّده تمّام حسان إذ يقول: "فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه كما يعتبر السامع والكلام نفسه وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل جوانب عملية الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ... والغايات والمقاصد"[1]

لقد بنى الزناد تحليله على مفهوم المقام، فبيّن أنّ مقام التخاطب في المقامة الحلوانية هو الحمّام، وهو مؤسسة اقتصادية تقدّم خدمة بمقابل، فالمقام يفرض بطبيعته علاقات خاصة بين المتحاورين، إذ نشطت مجالات معرفية مختلفة ترتبط بالخدمة مثل التنازع والتحاكم، واستدعت من المتحاورين أن يستحضر كل منهم حججه وينشئ خطابه الخاصّ حول كلمة "الرأس" التي هي محلّ التنازع.

([1]) تمام حسان، الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠، ص ٣٣٣.

وبذلك فأن مفهوم المقام يدعم مفهوم المعرفة الموسوعية ويوفّر له الأرضية التي على أساسها يتمّ تنضيد المعرفة إنتاجا وتأويلا.

- **السياق**: السياق لغة مِن سوق، وأصله سِوَاق، فقُلبت الواو ياءً؛ لكسرة السين قال ابن فارس: "السين والواو والقاف: أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء، يقال: ساقه يسوقه سَوقًا"[1] وورد في اللسان: انساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقًا: إذا تتابعت، والمساوَقة: المتابعة، كأنَّ بعضَها يسُوق بعضًا"[2]

أمّا في الاصطلاح اللساني الحديث فالمقصود بالسياق عموما "التركيب الذي ترد فيه الكلمة ويسهم في تحديد المعنى المتصوّر لها"[3] ولمصطلح السياق بعدان، بعد خارجي، إذ يطلق على المعطيات المقامية المحيطة بالنصّ مثل السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي، وبعد داخلي نصي لغوي يتعلّق بالألفاظ والتراكيب في تجاورها وتداخلها واتصالها.

وقد اهتمّ الزناد في تحليله للمقامة الحلوانية بالسياق اللغوي الذي أحاط بكلمة الرأس، فاهتمّ خاصّة بالكلمات التي اتصلت بعبارة الرأس لإبراز معنى الملكية مثل: (وضعها على رأسي...) و(مالك ولهذا الرأس وهو لي؟) و(هذا الرأس حقي وملكي وفي يدي...) و(أنا صاحب هذا الرأس...) و(بل أنا مالكه...). فالسياق اللغوي المتكوّن من الضمائر وأسماء الإشارة وعبارات الملكية هو الذي فتح كلمة "الرأس" على معارف موسوعية متنوعة، منها ما يتّصل بالملكية، ومنها ما يتعلّق بالتقاضي.

([1]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، مادة (س.و.ق) ص١١٧.

([2]) ابن منظور لسان العرب، مادة (س.و.ق)

([3]) سامي عياد حنا وكريم زكي حسام الدين ونجيب جرجس، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان 1997، ص٢٨.

- **الخطاب**: تعاطى الزناد مع نص المقامة بوصفه خطابا والخطاب أيضا مصطلح لساني، أصبح متداولا في مرحلة ما بعد البنيوية مع المقاربات اللسانية والنقدية المندرجة في إطار ما سمّي بنظريات تحليل الخطاب، والمقصود بمصطلح الخطاب، كما أشار إليه الزناد من منظور عرفني، هو الكلام الذي يتجاوز حدود الجملة، بوصفه "نتاجا ثقافيا اجتماعيا غير حاجّي، وما الحاجة إليه إلاّ حتمية اجتماعية من زاويتين: تواصلية مخصوصة وتفاعلية عامّة"[1]

ولما كان الأساس الأوّل لقيام الخطاب هو وجود المتخاطبين فقد اهتمّ الزناد بالشخصيات المتحاورة في المقامة الحلوانية، وهي عيسى بن هشام والمدلكين والحمامي. وعملية التخاطب التي دارت بين هذه الشخصيات استأثرت بها كلمة "الرأس"، فهو موضوع التنازع والاختلاف، ومحور الخطاب ومداره على النحو الذي يمكن أن نجسّده في الشكل التالي:

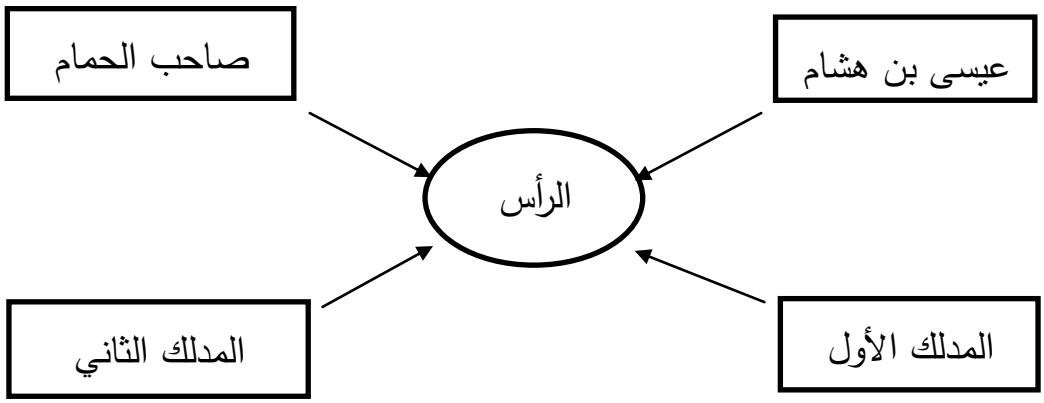

(1) الزناد، النص والخطاب، ص٥٧.

لقد أسهم تعدّد المتخاطبين واختلافهم في تعدّد زوايا النظر، ويمكن، حسب ما ذهب إليه الزناد أن نقف على زاويتين على الأقل: "زاوية الراوي حامل الرأس من جهة، وزاوية المدلكين والحمّامي جهةأخرى."[1]والتقابل في زوايا النظر هو الذي تمّ بواسطته تنضيد المعرفة الموسوعية وإظهارها، فإذا كان كلام الراوي عن رأسه تتجلّى فيه المعرفة التواضعية التي تحدّد الرأس بوصفه رأسا لا غير وتقف به في حدود المعنى الأوّل، فإنّ أنواع المعارف الأخرى تظهر في خطابات صاحب الحمام والمدلكين، حيث يتخذ الرأس دلالات ثانية تحيل على الحقل الاجتماعي والاقتصادي، فهو سلعة أو بضاعة يقع التنازع عليها.

- **الإطار**: الإطار من أبرز المصطلحات التي استخدمها الزناد في تحليله للمقامة الحلوانية، وقد خصّص لهذا المصطلح فصلا كاملا في كتابه وعرّفه بالقول: "فالإطار في الدراسات العرفنية – وعند فيلمور أساسا–مفهوم ذهني عرفني، وهو جملة المعارف (المفاهيم، التمثّلات، الصور) المترابطة المنضّدة المحفوظة في النظام العرفني. وهو مفهوم نحوي في اتّصاله بدلالة الوحدات اللغوية من حيث انتظامها في أطر تترابط فيها معان عديدة ترابطا يجعل منها كلاّ منضّدا. فالإطار مفهوم واحد ذو مظهر عرفني تصوّري صرف، وذو مظهر لغوي دلالي، وكلاهما يعاظل الآخر."[2]

لقد حاول الزناد الوقوف على مختلف الأطر التي اشتغلت في المقامة الحلوانية، فمنها إطار الملكية الذي نشط معارف تتصل بأنواع الامتلاك ومسوغاتها والخصومة عليها لاختلاف تلك المسوغات بين الملكية التي يجوّزها الوسم (تلطيخ الجبين بالطين) والملكية التي تكون بالجهد (لأني دلكت حامله) هذا فضلا عن الملكية الصريحة التي تخصّ صاحب الرأس، وقد استدعى تنشيط إطار ثان هو إطار التقاضي الذي يتمّ

([1])الزناد، النص والخطاب، ص٨٩.

([2])المرجع نفسه، ص٩٨.

اللجوء إليه كلّما جدّ اختلاف في حقّ الملكية، ويفرض هذا الإطار انقلابا في أدوار الشخصيات بتحوّل المدلّكين إلى متقاضيين وصاحب الحمّام إلى قاض وعيسى بن هشام إلى شاهد، وتستدعي تلك التحولات تنشيط أطر متعلقة بها مثل الإطار الفقهي القانوني أو العرفي في الفصل بين النزاعات وإطار الوعظ والإرشاد الذي ينشطه صاحب الحمام/القاضي بمخاطبته عيسى بن هشام (يا رجل، لا تقل غير الصدق، ولا تشهد بغير الحقّ، وقل لي: هذا الرأس لأيهما).

وهذه الأطر التي اشتغلت في النصّ وترابطت واستدعى بعضها بعضا إنّما هي تحيل مجتمعة على إطار أوسع إطار ثقافي عربي شرقيّ للحمام فيه موقع مميّز فهو فضاء عامّ يكفي مجرّد ذكره لتنشيط أطر عديدة تحيل على نمط في الحياة تحكمه أعراف وعادات مختلفة، منها ما هو ديني أو اجتماعي أو اقتصادي، ولذلك كان البحث عن الأطر في النصّ مساعدا للزناد للوقوف على تجليات المعرفة الموسوعية وتقاطعاتها وآليات اشتغالها.

- **نتائج التحليل**: أفضى تحليل المقامة الحلوانية بالزناد إلى مجموعة من النتائج يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

- تؤكّد العينة أن المعرفة الموسوعية تشتغل في إنشاء الخطاب وتأويله، فقد تجلّت في النصّ من خلال كلمة "الرأس" بجميع مستوياتها التواضعية والجامعة والمميزة، ويبدو ذلك إذا ما تتبعنا حضور الكلمة من بداية النصّ إلى آخره. فالرأس دخل الحمام في البداية بوصفه رأسا (التواضعية) لا يختلف عن غيره من الرؤوس (الجامعة)، وبعد التنازع حوله تقلّصت الدلالة على أنّه رأس لشخص ليصبح رأسا بعينه (الذاتية) وصاحبه لا يهمّ وبعد التقاضي ينشط البحث في ما إذا الرأس للمدلّك الأوّل أم الثاني (المميّزة)، ثم ينتهي النصّ بتحوّل الرأس إلى رأس تيس.

- تتداخل ضروب المعرفة الموسوعية في النصّ، ولكنّها تأتي بترتيب يخضع لتدرّج عكسي إذ ينقلب الترتيب كلما تقدّم النص، فتصبح مرتبة من المميزة إلى الذاتية فالجامعة فالتواضعية، وهو ما يعبّر عن انقلاب القيم والأدوار، وهو ما يدلّ كذلك على أنّ المعنى المعجمي التواضعي في الخطاب هو مجرّد جزء، فالكلمات تنفتح في سياقاتها على دلالات متنوّعة تتولّد من الثقافة الموسوعية التي تعبّر عن أبعاد اجتماعية وثقافية متداخلة وتمثّل الإطار العام الذي يحتضن الخطاب. وهذا ما يبيّن أهميّة الانتباه إلى أهميّة دور المقام في إنشاء الكلام وفي تلقيه.

- انتهت المقامة بتحوّل بارز تمثّل في اكتساب الرأس خصيصة لم يدخل بها، وهي كونه رأس تيس، وما من شكّ في أنّ استدعاء المضامين الاجتماعية لهذه الخصيصة كان لغاية السخرية والهزل، وبذلك تتولّد خاصية جوهرية من خصائص المقامة وهي كونها فنّ أدبي ساخر يرمي إلى الإضحاك، وقد تحقّق ذلك في النصّ من خلال التلاعب بكلمة الرأس واستدعاء كلّ ما تحيل عليه من معاني في المخزون الثقافي الذي تكتسبه الشعوب بالتجربة وتحوّله إلى خطاطات ومناويل ذهنية تنبني بها المعرفة الموسوعية.

ب- الجهاز والإنجاز

بعد أن حاولنا الإجابة عن السؤال المتعلق بكيفية التوظيف بالنظر في الخطوات الإجرائية التي اتبعها الزناد في تحليل المقامة الحلوانية بات من الممكن الإجابة عن السؤال المتعلّق بمدى توفّق الزناد في توظيف الجهاز النظري الذي اعتمد عليه في تحليل المقامة الحلوانية.

ولعلّ أوّل المؤشرات التي ينبغي الاعتماد عليها في هذا الصدد العلاقة بين الجهاز المفاهيمي والتحليل الإجرائي، وقد بيّنا في ما تقدّم أن الزناد في تحليله للعينة التي اختارها نموذجا للتمثيل على دور المعرفة

الموسوعية في إنشاء الخطاب وتأويله اعتمد مصطلحات تداولية عرفنية مثل المقام والسياق والخطاب والإطار، ومن الملاحظ أن حضور هذه المصطلحات لم يكن على أساس مفاهيمها النظرية المجرّدة بل تمّ اعتمادها بوصفها آليات للتحليل الإجرائي، فنصّ المقامة يبوح إذا ما نظرنا إليه بوصفه خطابا يجري في سياق معلوم بمعاني ودلالات متنوّعة تتمايز وتتداخل لتشكّل مجتمعة المعرفة الموسوعية التي تتفرّق على أطر عدّة ولكنّها تجتمع في كلمة موحّدة هي كلمة الرأس التي يتمّ بواسطتها تنضيد تلك المعارف وإخراجها.

وهذا يدلّ على أنّ الزناد قد تحكّم في جهازه النظري وحول مفاهيمه ومصطلحاته إلى آليات ناجعة في إجراء التحليل وتحقيق الفهم. فالمنطلقات النظرية التي استمدّها الزناد من منظري اللسانيات العرفانية لم تكن مجرّد ترف نظري في استعراض المفاهيم والمصطلحات الجديدة بل كانت أسسا هيأت للانتقال من النظرية إلى التطبيق.

وعلى أهميّة هذا الترابط بين النظري والإجرائي يلاحظ الدارس أيضا أن الزناد لم يتخذ من المقدمات النظرية قواعد ثابتة بل حاول تطويرها وتغييرها في ضوء ما يقود إليه التحليل من نتائج. وتبرز إضافته في هذا الصدد في أنّه لاحظ أن السُّلَّم الذي ترتب عليه أنواع المعرفة الموسوعية (تواضعية، فجامعة، فذاتية، فمميزة) لا يمكن أن يعدّ سلما نهائيا لأن الخطاب _كما تجلى في المقامة الحلوانية_ يقلب الترتيب رأسا على عقب لغايات فنيّة تمثلت في خلق مفارقات تضع النص في دائرة الهزل والسخرية.

وممّا هو حريّ بالانتباه في هذه المقاربة العرفانية التي أنجزها الزناد أنّها تعاملت مع الخطاب المنجز بالتركيز على أهمّ عنصر من عناصره، وهو كلمة الرأس التي هيمنت على النص، واستأثرت بالحوار بين المتحاورين. وبهذا التركيز يتّضح أنّ كلمة الرأس قد مثلت في المقامة عنصر التبئير فاستقطبت بقية العناصر التي كانت تدور في فلكها وتترابط معها في السياق لتكثيف المعرفة الموسوعية المشكلة للخطاب وتنضيدها.

وإذا كانت طريقة التبئير تمكّن من الوقوف على العبارات الاستقطابية واتّخاذها مداخل للتحليل والفهم فإنّ ذلك يمكن أن يعدّ من زاوية أخرى تقصيرا لأنّه يؤدّي إلى ممارسة قراءة انتقائية تتخذ من النصّ الأدبي وسيلة لتأكيد النظرية وإثباتها دون التفات إلى مكوناته الأخرى التي قد تكون أكثر أهمية من العناصر التي يتمّ التركيز عليها.

فكأنّنا بالزناد قد قصر اهتمامه على غاية واحدة هي إثبات مفهوم المعرفة الموسوعية من خلال التركيز على كلمة واحدة في النصّ هي كلمة الرأس، وقد استطاع أن يبيّن أهميّة هذه الكلمة في نصّ المقامة من ناحية، وملاءمة مفهوم الثقافة الموسوعية لمعالجتها، ولكنّه لم يتجاوز ذلك للكشف عن وظيفتها في بناء نصّ المقامة، واكتفى بالتلميح إلى أنّها تمثّل مولّدا للسخرية، ولو أنّه دفع هذا الاستنتاج أكثر لاكتشف أنّ التنازع على "الرأس" هو الذي مكّن عيسى بن هشام من أن يخرج كعادته فائزا في مغامرته، فهو وإن أهين من الحمامي في قوله عنه: "هب أنّ هذا الرأس ليس وأنّنا لم نر هذا التيس" فإنّه غنم أن لم يدفع أجرة المدلّك. وفوزه هذا لم يكن إلا نتيجة لتظاهره بعدم الفهم واستغلاله كلمة الرأس لفائدته، فقد امتنع عن مجاراة المعاني الاجتماعية والاقتصادية لكلمة الرأس وتمسّك بالمعرفة التواضعية فظلّ يردّد: "هذا الرأس قد صحبني في الطريق وطاف معي في البيت العتيق، وما شككت أنّه لي" وبسبب تمسّكه برأسه انتهى التنازع لصالحه فخرج من الحمّام دون أن يدفع المقابل يقول: " فَقُمْتَ مِنْ ذَلِكَ المِكَانِ خَجِلاً، وَلَبِسْتُ الثِّيابَ وَجِلاً، وَانْسَلَلْتُ مِنْ الحَمَّامِ عَجِلاً."

ويبدو أنّ ما يفسّر سكوت الزناد عن الوظيفة الفنيّة التي كانت للثقافة الموسوعية المقترنة بكلمة الرأس يمكن تفسيره بأنّه كان في تحليله لنص المقامة أقرب إلى دور اللساني الذي يبحث في خصائص الخطاب اللغوي منه إلى الناقد الذي يشغله البحث في مميزات الخطاب الأدبي.

الفصل الثاني

الاستعارة المفهومية مدخلا للقراءة العرفانية

مثلت الاستعارة مبحثا مهمّا من المباحث التي ركّزت عليها اللسانيات العرفانية، وقد تجلّى ذلك بصفة خاصة مع لايكوف وجونسون في الكتاب المعروف "الاستعارات التي نحيا بها"، إذ بيّنا فيه أنّ الاستعارات ليست، كما هو شائع، مرتبطة بالخيال الشعري والزخرف البلاغي فحسب، بل تمثّل النسق التصوّري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا. يقولان في هذا الصدد: "لقد وجدنا بالاعتماد على معطيات لغوية بالأساس أنّ الجزء الأكبر من نسقنا التصوّري العادي استعاريّ بطبيعته."[1]

وقد اهتمّ الزناد بالاستعارة المفهومية، فخصّص لها الفصل الثاني من الباب الرابع من كتابه "النصّ والخطاب"، وبرّر اهتمامه بها بأنّها "تمثّل ظاهرة مركزية غالبة في كلّ نشاط خطابي" وهي كذلك "تمثّل أداة في تصوّر العالم والأشياء وتمثُّلها في جميع مظاهرها، فهي جزء من النظام العرفني."[2]

والذي يعنينا في هذا السياق هو محاولة الوقوف على العمق النظري لمفهوم الاستعارة في المنظور العرفاني وعلى أبعادها التطبيقية. فهل تختلف الاستعارة المفهومية، كما يسميها العرفنيون، عن الاستعارة البلاغية، وما هو الجهاز الاصطلاحي المساعد على تحليلها؟ وإلى أي مدى تمثّل مدخلا مناسبا لقراءة النصوص الأدبية.

١–الاستعارة المفهومية: الماهية والمبادئ

عرّف لا يكوف الاستعارة المفهومية بأنّها إسقاط عابر للمجالات في النظام المفهومي، والمقصود بالإسقاط هو أن يتمّ تمثّل مجال مفهومي على أساس مجال آخر لوجود تناسبات أنطولوجية، تسمح على مستوى الخطاب بأن يتمّ التعبير عن مفهوم اعتمادا على مفهوم آخر يتناسب معه. ويجري ذلك وفق مجموعة من المبادئ العامة المتحكمة في التفكير والتعبير، ويمكن أن نلخّص هذه المبادئ في النقاط التالية:

---

(١) جورج لا يكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد الحميد جحفة، دار توبقال للنشر، ط٢. ٢٠٠٩، ص٢١.

(٢) الزناد، النصّ والخطاب، ص٢٣٥.

- لا بد أن تجري الاستعارة بين مجالين متناسبين أحدها يسمّى المجال المصدر والثاني المجال الهدف. وتتمثّل الاستعارة في التعبير عن المجال الهدف بعناصر مستمدّة من المجال المصدر.

- لا يمكن أن تحدث الاستعارة إلا بوجود تناسبات أنطولوجية بين المجال المصدر والمجال الهدف، فاستدعاء أحدهما للتعبير عن الآخر يقتضي بالضرورة وجود علاقة ممكنة ومقبولة.

- يحدث الإسقاط بين المجالات في المستويات العليا من المفاهيم والمقولات، وغالبا ما يسمح ذلك ببناء تناسبات صغرى بين العناصر المكوّنة لكلّ مجال.

- من شروط الإسقاط بين المجالات مبدأ الثبات، ويكون بالمحافظة على الأبعاد الأساسية في المجال المصدر وفي المجال الهدف وعدم تعديل أي واحد منهما بحثا عن تناسب مزعوم.

- الإسقاط الاستعاري يتسع ويتجدّد باستمرار بالتوالد، والاستعارات الجديدة غالبا ما تكون محكومة بإسقاطات قديمة في مستوى المقولات العليا، فالمنوال الاستعاري يتشكّل في إطار مناويل ثقافية أعمّ.

- تأويل الاستعارة المفهومية عملية توجّهها التناسبات الثابتة في النظام العرفني، أي أن فهم الاستعارة يحدث بالاستناد إلى الموروث الثقافي الذي يشترك فيه الباث والمتلقي.

- تصنّف الاستعارة إلى نوعين: العبارة الاستعارية المفردة وهي تكون بإسقاط عناصر من المجال المصدر على عناصر من المجال الهدف، والمنوال الاستعاري وهو إسقاط مجال على مجال.

انطلاقا من هذه المبادئ العامّة يتبيّن أن الاستعارة المفهومية أوسع نطاقا من الاستعارة البلاغية، إذ أنّها لا تقتصر على الألفاظ المفردة بل تشمل المجالات المفهومية التي هي عبارة عن خطاطات ذهنية ومناويل تجريدية، تشتغل في ذهن الإنسان بوصفها أدوات لتفسير الكون وتنضيد المعرفة. وقد أكّد عبد الله الحرّاصي

في كتابه "دراسات في الاستعارة المفهومية أنّ "الاستعارة حسب الفهم التقليدي هي تغيير يتمّ على مستوى اللغة حيث تحلّ كلمة محلّ أخرى... أمّا الاستعارة من منظور كتاب لايكوف وجونسون فظاهرة ذهنية أصلا يتمّ فيها إسقاط مجال حياتي معيّن على مجال آخر."[١]

٢-الجهاز المصطلحي

ترتكز نظرية الاستعارة المفهومية أو التصوّرية على مجموعة من المفاهيم والمصطلحات الأساسية من أهمّها: المجال التصوري الذي ينقسم إلى نوعين مجال مصدر ومجال هدف والتوافقات التصورية والاقتضاءات الاستعارية والاقتضاء الاستعاري المحتمل وعناصر مظاهر المجالات والأساس التجريبي للاستعارة. وقد حدّد زولطان كوفيتش في كتابه "الاستعارة، مدخل تطبيقي"[٢] هذه المصطلحات على النحو التالي:

- **المجال التصوري**: المجال التصوري هو تمثيلنا التصوري (conceptual representation)، أو معارفنا (knowledge) الخاصة بأي قسم منسجم من التجربة. وتسمى هذه التمثيلات "تصورات". والمجال في الاستعارة، كما سبق أن ذكرنا نوعان:

- **المجال المصدر** :(Source domain) ويستخدم المتكلّم المجال المصدر، كمجال تصوري، لفهم مجال تصوري آخر هو المجال الهدف.

- **المجال الهدف** :(Target domain) يحاول المتكلّم فهم المجال الهدف بالاعتماد على مجال تصوري آخر (المجال المصدر)

---

(١) عبد الله الحرّاصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، ٢٠٠٢، ص ٧-٨.

(2) Zoltán kövecses: Metaphor, a Practical Introduction. Second Edition. Oxford University Press,2010, pp 323-329

عادة ما يكون المجال الهدف أكثر تجريدا وارتباطا بالذات من المجال المصدر. والمثال على ذلك أنّ، الاستعارة التصورية الحياة سفر، يعدّ المجال التصوري للحياة (المجال الهدف، أكثر تجريدا وتعقيدا من المجال التصوري للسفر (المجال المصدر).[1]

– **التوافقات التصورية**: أي ما يوجد من تناسبات أنطولوجية بين عناصر المجال المصدر وعناصر المجال الهدف، فمن خلال المجال المصدر نأخذ بالاعتبار توافقات تصورية معينة بين عناصر المجال المصدر وعناصر المجال الهدف. فقولك مثلا الحياة رحلة يقتضي وجود توفقات في عناصر مختلفة مثل الزمان والمكان والمراحل والبداية والنهاية والوجهة.

– **الاقتضاءات الاستعارية** :(Entailments, metaphorical) هي العناصر الاستعارية المرتبطة بالمعارف المتنوعة المتعلقة بعناصر المجال المصدر.

– **الاقتضاء الاستعاري المحتمل** :(metaphorical Entailment potential) يقصد بهذا المصطلح المعاني المحتملة أو الكامنة في المجال المصدر، وهي تتحوّل بالاستعمال إلى اقتضاء استعاري يستخدم في المجال الهدف.

– **عناصر (مظاهر المجالات)** :(Elements (of aspects of domains يطلق هذا المصطلح على العناصر الفرعية في المجال المصدر والمجال الهدف، وهي عناصر تصورية تتمثّل في كيانات وعلاقات تربط بينها. وتقوم الترابطات بين المجالات على أساس الترابطات الفرعية بين هذه العناصر.[2]

– **التجسّد**: (Embodiment) يطلق هذا المصطلح على التجارب الجسدية الذاتية للناس والتي تعدّ أساسا للغة والفكر، فمنها تنشأ العبارات والتصورات.

---

[1])انظر:عمر بن دحمان،بعض مشاريع البلاغة المعرفية"مارك تورنر"نموذجا،العدد٢١،جامعة مولود معمري،الجزائر،ص١١٤،١١٥،١١٦،١١٧

[2] انظر: المرجع نفسه،الصفحات نفسها.

– **الأساس التجريبي للاستعارة:** تنشأ الاستعارات التصورية من التجربة البشرية، وبصفة خاصة تجربة الترابطية البينية (interconnectedness) لمجالين مختلفين، وهو ما يؤدي إلى حدوث وصل تصوري بين المجالين. وتنشأ الاستعارات من التجارب بأنواعها المختلفة كالتجارب الجسدية والإدراكية، والمعرفية، والاجتماعية، والثقافية.

إنّ أهميّة هذا الجهاز المصطلحي لا تكمن فقط في كونه يمكّن من توضيح الأسس والتصورات التي تنبني عليها الاستعارة المفهومية في المستوى النظري، بل إنّه كذلك يوفّر الآليات التطبيقية التي تساعد على دراسة الاستعارة وآليات اشتغالها في الكلام عموما وفي النصوص بصفة أخصّ.

٣–من النظرية إلى التطبيق

لقد وجد علماء اللسان الغربيون في نظرية الاستعارة التصورية مبحثا خصبا يمكن تطبيقه في مجال الدراسات الأدبية نظرا إلى ما يتميّز به الأدب من لغة استعارية. ومن بين هؤلاء العلماء مارك تورنر الذي حاول تطبيق نظرية الاستعارة التصورية على الأدب، وقد خصّص مؤلفين[١] لهذا الغرض اعتنى فيهما بدراسة نماذج من الاستعارات من خلال نصوص أدبية مختارة. ويرى تورنر أنّه من خلال الأدب يمكننا اكتشاف أمور كثيرة حول الذهن البشري في آليات اشتغاله وتفكيره. فالكتاب يكشفون باستمرار عن البنيات التصورية واللغوية التي تتولّد منها أفكارنا، والاستعارة في نصوص الأدب هي، حسب رأيه، آلية ذهنية وليست مجرد زينة بلاغية أو تلاعب لفظي بالكلمات.[٣]

---

(1) • Death is the Mother of Beauty: Mind, Metaphor, Criticism (University of Chicago Press, 1987)

• More Than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor (with George Lakoff, University of Chicago Press, 1989)

[٣] انظر : عمر بن دحمان،بعض مشاريع البلاغة المعرفية"مارك تورنر"نموذجا،العدد٢١،جامعة مولود معمري،الجزائر،ص١٢١ .

اتّخذ تورنر من استعارة القرابة نموذجا فحاول البحث في العلاقات التي تربط بني المعرفة، واللغة، والأدب بتحليل استعارات مخصوصة تتعلق باستخدام الأدباء لعلاقات القرابة ومفرداتها. مجالا مصدرا لبناء الاستعارات، وقد بين المؤلف بدراسة أمثلة أهمّ الطرق التي تستخدم بها علاقة القرابة في إنتاج استعارات تصورية تعكس رؤية الإنسان وتصوراته المختلفة حول العالم.

لقد سعى الزناد هو الآخر في كتابه "النصّ والخطاب" إلى الانتقال من نظرية الاستعارة إلى تطبيقاتها بعد أنّ أكّد أنّ نصوص الأدب تنحو بحكم لغتها الرمزية منحى الاستخدام الاستعاري للغة، توفّر أمثلة ونماذج مختلفة يمكن من خلالها دراسة المناويل الاستعارية والبحث في توالدها وآليات انتظامها، ولتحقيق هذه الغاية اختار نموذجين: أحدهما نثري قديم، وثانيهما شعري حديث.

-النموذج الأوّل: حكاية العصفورة والفخّ

- النصّ

النموذج الأوّل الذي اختاره الزناد لدراسة الاستعارة المفهومية هو نصّ مثليّ ينتمي إلى الحكاية على لسان الحيوان وجاء في قالب خبري يروي حوارا بين العصفورة والفخّ والنصّ هو:

"قال يحي بإسناده عن وهب بن منبه: "نصب رجل من بني إسرائيل فخّا فجاءت عصفورة فوقعت عليه.

فقالت: مالي أراك منحنيا؟

قال: لكثرة صلاتي انحنيت

قالت: فمالي أراك بادية عظامك؟

قال: لكثرة صيامي بدت عظامي

قالت: فمالي أرى هذا الصّوف عليك؟

قال: لزهادتي في الدنيا لبست الصوف

قالت: فما هذه العصا عندك؟

قال: أتوكّأ عليها وأقضي بها حوائجي

قالت: فما هذه الحبّة في يديك؟

قال: قربان، إن مرّ بي مسكين ناولته إيّاه

قالت: فإنّي مسكينة

قال: فخذيها

فقبضت على الحبّة فإذا الفخّ في عنقها، فجعلت تقول: قعي، قعي.

قال الخشنيّ: معناه لا غرّني ناسك مرّاء بعدك أبدا.[1]

(1) عبد الأمير علي مهنا، طرائف من التراث العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت ط١، ١٩٩٠، ص٣٢٤. والنصّ أورده ابن عبد ربّه في كتاب العقد الفريد، ج٣، ص٢٨.

- **دواعي الاختيار**

برّر الزناد اختياره لهذا النصّ بالاستناد على أربعة مبررات تتّصل بجنسه ونوعه وزمانه وبنيته، فهو نصّ نثري يصنّف ضمن النصوص المثليّة قديم وله بنية بسيطة يمكن من خلالها استجلاء المعالم الأساسية للاستعارة المفهومية. وأهمّ ما يمكن أن نستشفّه من هذه المبرّرات أنّ الزناد أراد أن يبيّن من خلالها أنّ الاستعارة ليست مقصورة على جنس أدبي دون آخر ولا على نوع دون نوع ولا زمن دون زمن، فهي تسري في جميع الخطابات، ولعلّها تبدو أكثر بروزا في النصوص الأدبيّة، وبصفة خاصّة في النصوص الرمزيّة التي يصاغ الخطاب فيها بطريقة غير مباشرة، إذ يعتمد مؤلفوها على استخدام التشابيه والاستعارات والكنايات للتعبير عن مفاهيم ومعاني خفيّة.

- **إجراءات التحليل**

انبنى التحليل التداولي العرفني للنصّ على إجراءات منهجية جاءت في شكل خطوات متتابعة استهدفت الوقوف على الاستعارة المفهومية المهيمنة على النصّ وبيان كيفيّة انبنائها، ويمكن أن نوضّح ذلك في الإجراءات التالية:

١- رصد الاستعارة المفهومية التي انبنى عليها نصّ الخبر، وهي قائمة على "تمثّل مفهوم الفخّ على أساس مفهوم الناسك"

٢- تفكيك الاستعارة إلى مجالين مفهوميين: مجال مصدر هو الناسك ومجال هدف هو الفخّ

٣- طريقة البناء لم تقع بواسطة الإسقاط الكلي، وإنّما عن طريق إسقاط تدريجي مسترسل يبلغ اكتماله في نهاية النصّ.

٤- طبيعة العلاقة بين الإطارين المفهوميين (الناسك/فخّ) علاقة تناسبية قائمة على التوازي والمراوحة.

٥- مفتاح التناسب ورد في بداية النص صريحا ومعلنا عندما أعلن الراوي عن الإطار الهدف وهو الفخّ.

٦- التمثيل البياني: وذلك باستقصاء مظاهر التناسب وإبراز العلاقات بين العناصر في شكل شبكة سمّاها المؤلّف شبكة الإسقاط المفهومي.

٧- مستويات الإسقاط وهي تجري في المستويات العليا من المجال الخطاطي يكتفي بالخصائص العامة المشتركة بين خطاطة الناسك وخطاطة الفخّ.

في ضوء هذه الخطوات المنهجية التي قام عليها التحليل حاول الزناد الوقوف على بنية الاستعارة المفهومية في النصّ وتفكيكها إلى مكوناتها الجزئية واستخراج العلاقات القائمة بينها فتوصّل إلى أنّ أشكال التناسب بين المجال المصدر والمجال الهدف تنشأ منها شبكة إسقاط مفهومي على النحو الذي يبدو في الرسم التالي:

المجال المصدر: الناسك المجال الهدف: الفخّ

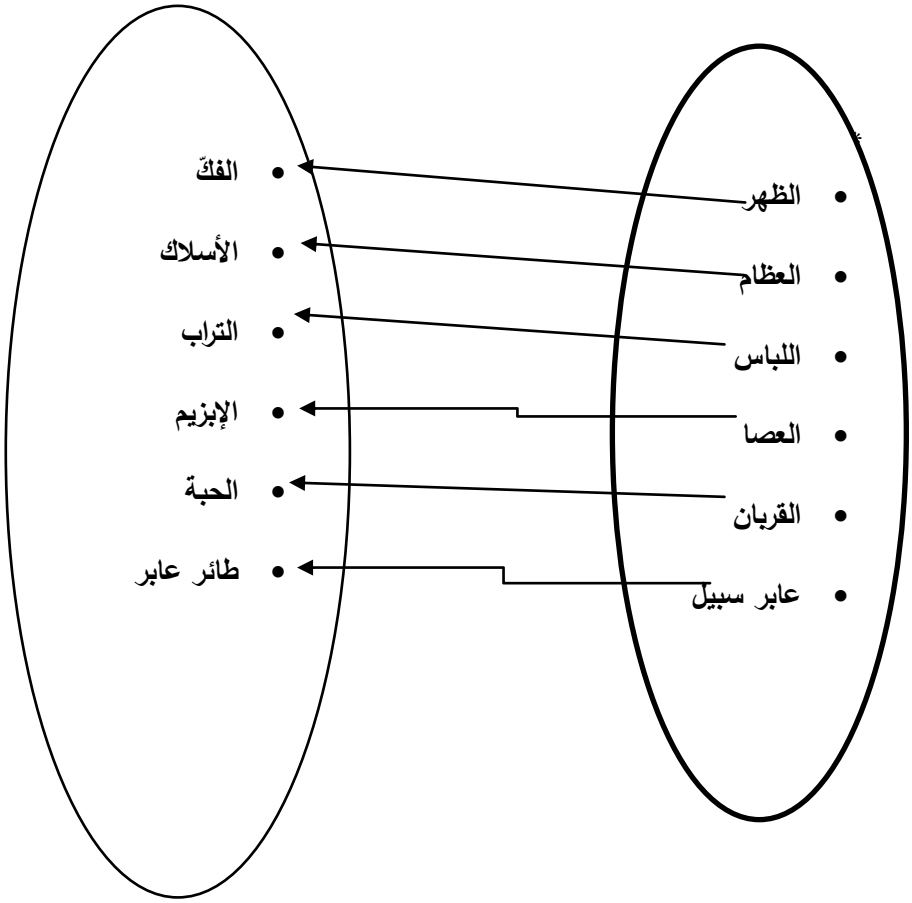

توضّح لنا هذه الشبكة كيف انبنت الاستعارة المفهومية من مجموعة من الاستعارات الجزئية يحكمها مبدأ التناسب بين عناصر مفردة من المجال المصدر وعناصر مقابلة لها في المجال الهدف، ومن الملاحظ في النصّ أنّ التناسبات بين هذه العناصر قد انكشفت بصفة تدريجية بالانتقال من عنصر إلى آخر إلى أن اكتملت الاستعارة الكبرى في النهاية بوصفها إجمالا وتتويجا للتناسبات الجزئية فاستوى الناسك فخّا، فماهي الخصائص التي تجعل هذه الاستعارة استعارة مفهومية؟

أكّد الزناد في ثنايا تحليله على توفّر أربعة مقومات أساسية من المقومات التي تتحدّد بواسطتها الاستعارة المفهومية وهي:

- جرى الإسقاط في المقولات العليا من المجال الخطاطي، فهو إسقاط مطلق لا يتعلّق بعينات محدّدة من المجال ويركّز على الصفات العامّة التي يكون بها الناسك ناسكا والفخّ فخّا في مطلق الأحوال.

- التناسب بين المجالين، المصدر والهدف، محكوم بمبدأ الثبات، أي أنّ الإسقاط يحافظ على الأبعاد الطوبولوجية في المجال المصدر، وهي الأبعاد الأساسية التي تمثّل بنيته الخطاطية.

- يحافظ الإسقاط على البنية الخطاطية في المجال الهدف، ولا يدخل عليها أيّ تغيير أو تحوير أو تبديل، فكلّ عنصر يحافظ على موقعه ووظيفته داخل الكلّ.

- خضع الإسقاط الاستعاري في نصّ "العصفورة والفخّ" لمبدإ سلمية الإرث، فكلّ استعارة جزئية ترث الاستعارة السابقة لها في الترتيب. وهو ما يفسر تسلسل الاستعارات وتوالدها داخل المجال الواحد.

إنّ هذه المقومات الأربعة هي بمثابة الشروط التي ينبغي توفّرها في كل استعارة مفهومية، وهي شروط تصلح لتمييز هذا النوع من الاستعارات البلاغية، إذ تكشف أنّ الاستعارة المفهومية ليست مجرّد استبدال لفظ بلفظ بل هي إسقاط مجال على مجال. وبينهما فرق شاسع، لذلك كان لا بدّ أن تكون الأدوات التي يعتمدها اللساني في دراسة الاستعارة مختلفة عن أدوات التحليل عند البلاغيين.

- **نتائج التحليل**

توصّل الزناد من تحليل نموذج "العصفورة والفخّ" إلى نتيجتين مهمّتين:

- النتيجة الأولى مفادها أنّ العبرة المستخلصة من الخبر يمكن اختزالها في عبارة المظهر الخادع، وهي عبرة تتولّد من التمازج بين المجالين "الفخّ" و"الناسك"، فهما يتبادلان المواقع، إذ يمكن تمثّل الناسك في صورة الفخّ والفخّ في صورة الناسك.

- النتيجة الثانية ملخّصها أنّ البنية الاستعارية لخبر "العصفورة والفخّ" تنطبق على أغلب النصوص المنتمية إلى جنس القصص المثلي مثل الأساطير والحكايات والخرافات والروايات الرمزية، فالتمثّل في هذه النصوص يكون غالبا بواسطة التمثيل الاستعاري.

وفي ضوء هاتين النتيجتين يمكن القول أنّ الزناد وجد في الاستعارة المفهومية مفتاحا يساعد على فهم وتأويل النصوص ذات الطبيعة المثلية. فالاستعارة المفهومية هي الأساس الذي تبنى عليه هذه النصوص، فإذا كانت الاستعارة المفهومية أداة ملائمة لفهم النصوص النثرية التي تعتمد السرد التمثيلي فهل يمكن أن توظّف في تحليل النصوص الشعرية؟

-النموذج الثاني: أنشودة المطر لبدر شاكر السياب.

لاستكمال الاختبار التطبيقي للاستعارة المفهومية بوصفها ركنا من أركان اللسانيات العرفانية انتقل الزناد من النثر إلى الشعر ومن القديم إلى الحديث، وسنعتمد في مقاربة هذا النموذج التطبيقي الثاني على نفس الخطوات المنهجية التي درسنا من خلالها النموذج الأول، أي بالتوقّف عند دواعي الاختيار والإجراءات المنهجية ونتائج التحليل.

- **دواعي الاختيار**

إذا ما بحثنا في الدواعي التي دفعت الزناد إلى اختيار نصّ "أنشودة المطر" نموذجا أمكننا الوقوف على

عاملين أساسيين:

١- العامل الأوّل يتّصل بجنس النصّ وخصوصياته: فأنشودة المطر تنتمي —حسب الزناد-إلى نوع مخصوص من الخطاب يسمّية "الرمزي الواقعي"، وبما أنّ هذا النوع يقوم على إدراك الواقع وتمثّله من خلال الرموز، فهو، بلا شكّ، أقرب الأنواع إلى طبيعة الاستعارة المفهومية التي تنبني بإسقاط مجال مصدر على مجال هدف.

٢- العامل الثاني نجده في موقف الزناد من القراءات السابقة لأنشودة المطر، فقد صرّح قائلا: "فلا استحضار الأسطورة مثلا، ولا استدعاء الواقع التاريخي-لنستعمل عبارة رائجة سمعناها على الأقلّ في تحليل هذا القصيد وما شاكله من النصوص ونحن على مقاعد الدرس في الجامعة، وقد كنا طلبة لا يقنعنا ذلك تمام الإقناع، وإن لم تتوفّر عندنا أدوات في التحليل لها نسبة من القوة نقع بها على ما نحاول إقامته الآن في هذا العمل- ولا ثنائية القناع وما وراء القناع، ولا غيرها من لعب الألغاز والتجلّي أو الثبات والتحوّل، مفيد في تأويل نصّ من هذا القبيل."[1]

إذا توقّفنا عند كلام الزناد وأمعنّا فيه النظر تبيّن لنا أنّه ينطلق في محاولته من تحليل القصيدة من نقد القراءات السابقة التي توسّلت بمناهج مختلفة مثل المنهج الأسطوري والمنهج التاريخي والمنهج البنيوي، ولكنّها جميعا لم تنفذ إلى حقيقة القصيدة، ولم تصل إلى جوهرها. وعلى هذا الأساس فإنّ الزناد يحاول أن يقدّم قراءة بديلة تتجاوز قصور القراءات السابقة اعتمادا على أدوات في التحليل تتّصف بالجدّة والقوّة، ويمكن أن تكون ملائمة لطبيعة هذا القصيد الذي يعدّ من عيون القصائد في الشعر العربي الحديث.

([1]) الزناد، النص والخطاب، ص ٢٥٦-٢٥٧.

- **إجراءات التحليل**

يلاحظ النّاظر في نموذج تحليل قصيدة "أنشودة المطر" أنّ الزناد حاول أن يتدرّج في دراسة القصيدة من التأسيس المنهجي ووضع المقدمات النظرية إلى البحث في مفاتيح القصيدة إلى استخراج المناويل الاستعارية وبيان علاقاتها وطرق انتظامها إلى استخراج النتائج ومحاولة تعميمها. ويمكن أن نوضّح هذا التدرّج وفق المراحل التالية:

١- **التأسيس المنهجي**: بدأ الزناد عمله بتوضيح مفهوم المنوال الاستعاري الذي يمثّل الأداة المنهجية التي اختارها لمقاربة القصيدة. والمنوال الاستعاري هو منوال ذهني أو خطاطة ثقافية جماعية تتوفّر على مجموعة من العناصر المنتظمة والمتفاعلة. ووظيفة المنوال الاستعاري تنضيد الواقع والتعبير عن الرؤى والتمثّلات الجماعية، ويسمح باستكمال التأويل وملء الفراغات.

وما يميّز المنوال الاستعاري عن الاستعارة المفهومية أنّه قائم على الإسقاط المتزامن الذي يتخلّل شبكة كاملة من أنسجة استعارية عديدة. فهو مجال أوسع وأكثر تعقيدا إذ لا يكفي فيه الوقوف على المجال المصدر والمجال الهدف بل ينبغي استخراج العلاقات الناظمة بين الاستعارات المتفاعلة.

٢- **تقديم القصيد**: تمّ التركيز في تقديم قصيدة أنشودة على بيان أهمّ الخصوصيات التي تميّزها، فهذه القصيدة، في نظر الزناد، نموذج لاشتغال المناويل الاستعارية المتعدّدة تنصهر في منوال واحد، وهو ما يسوّغ اعتبارها قصيدة رمزية. ومحور الرمز فيها هو المطر الذي يخترق كامل القصيدة من أوّلها إلى آخرها. ويتّخذ في حضوره شكل الطقس التعبدّي، إذ يبدو نوعا من الابتهال والدّعاء يضرب في أعماق ثقافية سحيقة تقترن بمعاني الطوفان والتطهير.

٣- المنوال الاستعاري المفتاح: ينطلق فهم القصيدة من منوال استعاري مفتاح أساسه المطر فضاء مصدرا والثورة فضاء هدفا، ويتجلّى هذا المنوال في المقطع الشعري التالي:

أكاد أسمع العراق يذخر الرعود

ويخزن البروق في السهول والجبال

حتّى إذا ما فضّ عنها ختمها الرجال

لم تترك الرياح من ثمود

في الواد من أثر

ويقوم هذا المنوال الاستعاري على مجموعة من العناصر المتناسبة تدلّ مجتمعة على أنّ الشاعر تمثّل مجال الثورة من خلال إسقاط مجال المطر، فالرعود يقابلها الغضب والبروق شرر السلاح والرياح الرجال وثمود الفساد والوادي الرافدين. ولكن هذا المنوال ليس هو الذي يبني الفضاء الاستعاري في القصيدة بقدر ما هو خلاصة له.

٤- استخراج المناويل الاستعارية من القصيدة: تشتغل في القصيدة مناويل استعارية مختلفة حاول الزناد استخراجها وتسميتها وبيان خصوصية كلّ منها، ومن بين المناويل التي ذكرها، منوال المرأة الذي يحضر في بداية القصيدة ويتخللها في صور تدلّ على أن الأنثى ليست حقيقية وإنما هي رمز يتجلّى ذلك مثلا في تصوير العين مثلا (عيناك غابات نخيل ساعة السحر أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر)، ومن المناويل كذلك منوال الاستمطار الذي يتخذ شكل نشيد متكرّر، ومنوال الإنسان ومنوال المأوى ومنوال الضوء والظلام ومنوال الماء ومنوال الصوت والصدى ومنوال الأرض وغيرها....

٥- **انتظام المناويل:** بعد استخراج المناويل وضبط قرائنها النصيّة حاول الزناد البحث في طرق انتظامها والعلاقات القائمة بينها، فتوصّل إلى أنّها تنتظم انتظاما شبكيا قائما على التقاطع بين مسالك متنوّعة، وحضور هذه المناويل في القصيدة يخضع لمبدإ النوافذ المتقابلة الذي يطلق عليه في اللسانيات العرفانية مصطلح "الوندوة" Windowing.

- **التمثيل البياني:** لتوضيح شبكة انتظام المناويل الاستعارية في القصيدة وضع الزناد رسما بيانيا تجريديا يجمع بين فضاءين متقابلين فضاء المطر وهو يمثّل المصدر وفضاء الثورة الذي يمثّل الفضاء الهدف، وداخل كل فضاء من الفضاءين مجموعة من المناويل المتفرّعة والمترابطة بعلاقات شبكية تظهر ما يوجد بينها من تناسبات تبرّر عملية الإسقاط التي تبنى بواسطتها تلك المناويل.

- **نتائج التحليل**

خرج الزناد من تحليل قصيدة أنشودة المطر بثلاث نتائج تؤكّد ما كان انطلق منه في الفرضيات النظرية:

١- النتيجة الأولى أنّ "أنشودة المطر" استعارة كبرى على غاية من التعقيد والتشابك قوامها إسقاط بين مجالين على أساس التناسب في الخصائص العامة دون التفاصيل.

٢- والثانية أنّ القصيدة تتسم بالرمزية لأنّها قائمة على تضافر مناويل استعارية مختلفة تنصهر في منوال موحّد هو الرمز.

٣- والثالثة أنّ الإسقاط الاستعاري في القصيدة يقوم على منوال مفتاح بواسطته ينكشف الرمز وتنفتح منافذ التأويل.

خلاصة تقييمية

يبدو واضحا من خلال النصّين المدروسين أنّ الزناد قدّم نموذجين للاستعارة المفهومية، يتعلق النموذج الأوّل بالاستعارة المفهومية البسيطة كما انبنت في نصّ" العصفورة والفخّ" على أساس إسقاط تدريجي لمجال مصدر على مجال هدف، ويخصّ النموذج الثاني المنوال الاستعاري المركّب كما تجلّى في قصيدة "أنشودة المطر" لبدر شاكر السياب.

وسواء أكانت الاستعارة المفهومية بسيطة أم مركّبة فإنّه لا يخفى على الدارس مدى الاختلاف بين الاستعارة البلاغية والاستعارة المفهومية، فالثانية أوسع نطاقا من الأولى وأكثر عمقا، فإذا كانت الاستعارة البلاغية تجري في مستوى الألفاظ وتكون بنقل اللفظ الحقيقي إلى معنى مجازي، فإنّ الاستعارة المفهومية هي إسقاط مجال على مجال آخر لبناء تمثّلات وتصوّرات تغني معرفتنا بالوجود.

ومثلما تختلف الاستعارة المفهومية عن الاستعارة البلاغية في طبيعتها ووظائفها تختلف تبعا لذلك طريقة التناول والتحليل، فعمل البلاغي في دراسة الاستعارات لا يتجاوز الرصد والتصنيف والكشف عن المعنى الحقيقي المخبوء وراء المعنى المجازي، أما عمل المحلل اللساني فإنّه منصبّ على البحث في التقاطعات المفهومية التي تأتلف في الخطابات على أشكال مختلفة لا تّخاذها منطلقات لفتح مسالك الدلالة والتأويل.

ويبدو الزناد في النماذج التي قدّمها مدركا لطبيعة هذا الاختلاف، فهو لم يتناول مبحث الاستعارة بالطرق التقليدية المألوفة بل تناوله من زوايا جديدة، يتجلّى ذلك في المصطلحات والمفاهيم التي اعتمدها وفي الطريقة التي قارب بها النصوص المختارة. فقد وظّف الجهاز الاصطلاحي المتعلّق بالاستعارة المفهومية في قراءة النصوص مركّزا على توضيح طريقة انبناء المناويل الاستعارية البسيطة والمركّبة وطريقة اشتغالها في إنتاج الدلالة وتمثيل التصورات الذهنية والنظرة إلى الأشياء والوجود.

وممّا يلفت الانتباه في النماذج التي اختارها الزناد واشتغل عليها أنّها متنوّعة تشمل الشعر والنثر والقديم والحديث، ولكنّها تنتمي إلى نوع مخصوص من الخطاب هو الخطاب الرمزي الذي ينبني بطبيعته على أساليب التعبير غير المباشر. وهذا يدعو إلى التساؤل عمّا إذا كانت الاستعارة المفهومية لا تتوفّر إلاّ في هذا النوع من الخطاب، خاصّة أنّنا نعلم أنّ اللسانيات العرفانية تذهب إلى أنّ الاستعارة المفهومية أو التصورية تسري في جميع أنواع الخطاب المباشر منه وغير المباشر؟

وعلى هذا الأساس نرى أنّه كان من الأفضل لو أنّ الزناد اختار نموذجين مختلفين ليبيّن من خلالهما كيف تنبني الاستعارة المفهومية في الخطاب المباشر وفي الخطاب الرمزي، فذلك من شأنه أن يوضّح بطريقة قاطعة مدى الاختلاف بين الاستعارة المفهومية والاستعارة البلاغية.

الفصل الثالث

نظرية الأفضية الذهنية وتطبيقاتها

تندرج نظرية الأفضية الذهنية في إطار مبحث آليات انبناء الخطاب الذي تهتمّ به اللسانيات العرفانية، ويعود الفضل في وضع هذه النظرية وتطويرها إلى اللساني جيل فوكونياي[1]، وقد أبدى الزناد اهتماما بهذه النظرية في كتاباته، وخصّص لها فصولا للتعريف بها وشرح مبادئها وتوظيفها في قراءة نصوص مختلفة. وسنحاول التعرّف على هذه النظرية من جهة المفاهيم والمبادئ الأساسية التي تقوم عليها، ومن الناحية الإجرائية كما تجلّت في تطبيقات الزناد على النماذج التي اشتغل عليها.

١–أسس نظرية الأفضية الذهنية

ظهرت نظرية الأفضية الذهنية لتؤسس لفهم جديد للدلالة ولطرق انتظامها في الخطاب، فهي تعمل على تجاوز التحليل المنطقي الشكلي الذي كان يحصر موضوع الدلالة في حدود الجملة، وتعمل على إقامة تحليل يدرس الأبنية العرفانية التي ينشأ على أساسها الخطاب ويفهم من خلالها.

وقد انطلق فوكونياي في بناء نظريته من كون اللغة تسمح للمتكلّم بالتعبير عمّا هو موجود في الواقع وما ليس له وجود إلاّ في الذهن مثل ما نتمنى وجوده وما نتصوّره موجودا وما يمكن أن يوجد وهو غير موجود وما نتخيّل وجوده كما في القصص. وبما أنّ هذه الإمكانيات يمكن أن تحضر في الخطاب مجتمعة أو متتابعة أو متفرّقة، فقد كان لا بدّ من التساؤل عن الآليات التي توفّرها اللغة لتحقيق الانسجام في الخطاب بما يضمن استمرار عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي.

---

(1) فوكونياي لساني فرنسي ولد عام ١٩٤٢ باحث في اللسانيات العرفانية في جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية من مؤلفاته المتعلقة بنظرية الأفضية الذهنية:

- Fauconnier, G. 1994. *Mental Spaces*. New York: Cambridge University Press. [Originally published (1985) Cambridge: MIT Press.]
- Fauconnier, G. & E. Sweetser. 1996. *Spaces, Worlds, and Grammar*. Chicago: University of Chicago Press.

وقد جاءت نظرية الأفضية الذهنية لتفسير هذه الظاهرة بالبحث في طرق الانتظام المفهومي واستقصاء الأدوات التي يعتمدها المتخاطبون للتفاهم مثل ما به يبدأ الخطاب وما به يتمّ الانتقال من معنى إلى آخر وما بواسطته تظهر المواطن المركزية التي يركّز عليها المتكلّم ويجعلها محور كلامه وما به يحدث تفرّع المعاني واتّساعها. وللإلمام بهذه القضايا وضع فوكونياي شبكة من المفاهيم المتّصلة بمفهوم الأفضية الذهنية والمكملة له في بناء النظرية، ولذلك سنتعرّض إلى هذه المفاهيم ونستجلي العلاقات بينها لفهم النظرية والوقوف على أسسها ومرتكزاتها.

– **الفضاء الذهني**: (**Mental Space**) يطلق مصطلح الفضاء الذهني على عناصر الخطاب المتعلقة بالمفاهيم المجرّدة أو الأشياء والعناصر المنظمة لها، ويمكن أن يكون الفضاء مطابقا جزئيا أو كليا لأشياء في الواقع والتجربة، كما يمكن أن يكون متخيلا ومفترضا لا يرتبط بالواقع، كما هو في القصص والأشعار والنصوص الرمزية بصفة عامّة، والمتكلّم ينشئ أثناء الخطاب ما لانهاية له من الأفضية الذهنية ولكنّه يحاول إقامة الانسجام بما يضمن فهم السامع.

– **بناة الأفضية**: (**Space builders**) المقصود بهذا المصطلح الأدوات والآليات التي يستعملها المتكلّم لبناء فضاء ذهني، إمّا في بداية الخطاب أو في غضونه، ويمكن أن تكون بناة الأفضية أدوات لغوية مثل الوحدات أو المركبات النحوية والأسماء أو الصفات المحيلة على المكان أو الزمان أو الشخصيات وأدوات الشرط والافتراض نحو إن ولو وإمّا وغيرها... كما يمكن أن تكون بناة الخطاب عناصر غير لغوية مثل الهيأة والنصبة وسائر العناصر المقامية.

– **تناسل الأفضية**: تتكاثر الأفضية الذهنية في الخطاب بتولّد خطاب من آخر، ويسمّى الفضاء الأساسي الفضاء–الأب والفضاء المتفرّع عنه الفضاء–الابن. ويمكن أن يكون التفرّع أحاديا بمعنى أن

ينشأ عن الفضاء الأصلي فضاء فرعي واحد، ويكون كذلك تفرّعا متعدّدا، فالفضاء–الابن يتحوّل بدوره في الخطاب إلى فضاء –أب عندما يقع فيه التبئير وتولّد منه فضاء أو أفضية أخرى.

– **انتظام الأفضية:** تنتظم الأفضية أوّلا من خلال الترتيب المنطقي، فكلّ فضاء لاحق يحيل على الفضاء السابق الذي تولّد منه. كما توجد في كلّ فضاء نظائر وعلامات تحيل على الأفضية التي تشترك معه، ومن الروابط اللغوية بين الأفضية الضمائر وأسماء الإشارة والتعريف العهدي والأسماء.

–تعريشة الأفضية: هي عبارة عن شبكة تتكون من عقد وعلاقات تمثّل طريقة انبناء الأفضية وتناسلها ويمكن تمثيل ذلك على النحو التالي:

فضاء أساس

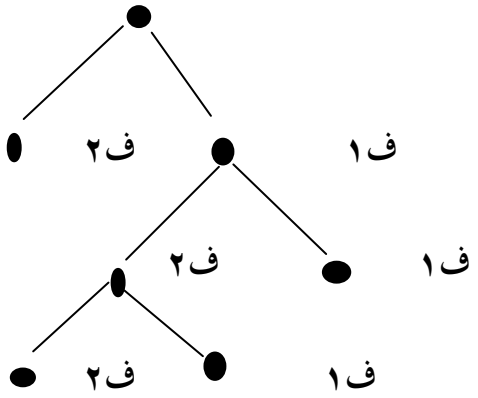

ويتّضح من خلال هذه الشبكة المسماة تعريشة الأفضية كيف يتمّ تناسل الأفضية الذهنية بداية من الفضاء الأساس الذي يسمى الفضاء الأب ثم مرورا بالأفضية اللاحقة التي منها ما يتحوّل إلى فضاء–أب مثل (ف١) في المستوى الأوّل و(ف٢) في المستوى الثاني ومنها ما يبقى فضاء مفردا مثل (ف٢) في المستوى الأوّل و(ف١) في المستوى الثاني.

–مبدأ الاهتداء: هو العملية الذهنية التي يتحقّق بواسطتها الفهم ويتمّ على أساسها الانسجام في الخطاب، ويتمّ الاهتداء بوجود وحدة في فضاء مّا تحيل على وحدة في فضاء آخر، وتسمّى الأولى

قادحا والثانية هدفا، ويسمى الترابط بينهما إحالة تظهر في الخطاب في أداة أو قرينة، وعملية الإحالة التي تقع بين القادح والهدف هي التي يطلق عليها مصطلح الاهتداء.

– **النشر**: (Spreading) هو آلية انتقال خصيصة أو مقتضى (أي افتراض ما قبلي) بين الأفضية الذهنية ويحدث ذلك حسب الاتجاه الذي يحدّده موقع الفضاء في التعريشة، وهو ما يفرض وجود نوعين من النشر:

– نشر صاعد أي من فضاء–ابن باتجاه فضاء–أب، ويسمى **الطفاوة**

– نشر نازل أي من فضاء–أب باتجاه فضاء–ابن، ويسمّى **النقل**.

يمكن أن نستنتج من هذه الشبكة المفهومية المتعلّقة بنظرية الأفضية أنّ هذه النظرية تسعى إلى الوقوف على البنى الذهنية التي يمارس بواسطتها المتكلم عملية التفكير والمتلقي عمليّة الفهم من خلال البحث في البنى اللغوية الظاهرة في الخطاب، فاللغة، في التصوّر العرفاني، تعكس ما يدور في الذهن من عمليات تنبني وفق مناويل وخطاطات مجرّدة. والتوصّل إلى هذه الغاية يتحقّق في نظرية الأفضية بالتركيز على محورين مهمّين: الأوّل يتعلّق بالآليات والأدوات المساعدة على بناء الأفضية، والثاني بانتظام الأفضية وضروب العلاقات القائمة بينها.

ومن المؤكّد أنّ هذا المستوى التجريدي الذي تصوغه المفاهيم وتعبّر عنه المصطلحات لا يمكن تجسيده إلاّ من خلال البحث التطبيقي للنظر في مدى انطباق التصوّرات المجرّدة على الكلام المنجز.

٢-تطبيقات نظرية الأفضية

طبّق الزناد نظرية الأفضية على ثلاثة نماذج مختلفة، حاول من خلالها أن يجعل من مفاهيم النظرية ومصطلحاتها أدوات مساعدة على تحليل النصوص تحليلا إجرائيا. وقد توزّعت النماذج المدروسة على كتابيه: "نظريات لسانية عرفنية" و"النص والخطاب". وسنحاول بالبحث في هذه النماذج إبراز العلاقة بين النظرية والتطبيق والوقوف على النتائج التي توصّل إليها الزناد والكشف عن مدى ما تحقّقه من إضافة نوعية في تحليل الخطاب وفهم النصوص.

-النموذج الأوّل: "خبر جحا والحمّال"[1]

خبر جحا والحمّال نصّ مختصر استقاه الزناد من كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" لابن الجوزي وجاء فيه: **"اشترى جحا يوما دقيقا وحمله على حمّال، فهرب بالدقيق، فلمّا كان بعد أيّام رآه جحا، فاستتر منه، فقيل له: "مالك فعلت كذا؟" فقال: "أخاف أن يطلب منّي كراه".**

- **إجراءات التحليل:** إذا نظرنا في الطريقة التي اتّبعها الزناد في مقاربة هذا النموذج ألفيناها قائمة على مجموعة من الإجراءات المنهجية المستفادة من نظرية الأفضية، وقد جاءت هذه الإجراءات مضمّنة في التحليل ومتداخلة لكنّنا لضرورات منهجية وتوضيحيّة سنميّز بينها ليسهل تمثّلها، ويمكن أن نحدّدها بصفة إجمالية في:

- **تقسيم النصّ إلى أفضية ذهنية:** عددها سبعة ولكلّ فضاء منها عنوان يميّزه، وهي: فضاء الشراء، فضاء الحمل، فضاء الهرب، فضاء الرؤية، فضاء الاستتار، فضاء السؤال، فضاء الخوف.

(1) ورد تحليل هذا النموذج ضمن كتاب الزناد "نظريات لسانية عرفنية" ص ص ٢١٢-٢١٩.

ويبدو من خلال هذا التقسيم أنّ الأفضية الذهنية تمثّل وحدات دلالية يتشكّل منها الخطاب، فكل فضاء يضيف إلى النصّ بعدا دلاليا ينشأ من السابق ويهيئ للاّحق، علما وأنّ الفضاء السابع والأخير يختلف في طبيعته عن الأفضية الستة السابقة، فهي ترتبط جميعا بأعمال بينما يتعلّق الفضاء السابع بافتراض.

- **إظهار بناة الأفضية:** بنيت الأفضية الذهنية في خبر جحا والحمال من عناصر مختلفة بعضها محدّدات لغوية تحيل على الزمان مثل "يوما" في الفضاء الأوّل و"بعد أيّام" في الفضاء الرّابع، أو بمحدّدات تتعلّق بالأشخاص مثل "جحا" و"الحمّال"، مع ما تستصحبه هذه الأسماء من عناصر ثقافية تتعلّق بالصورة النموذجية لجحا أو الحمّال في الثقافة العربية الإسلامية، كما بنيت بعض الأفضية بأدوات لغوية مثل أداة الاستفهام "ما لك" في الفضاء السادس التي بني عليها فضاء افتراضي يطلب به علم بخبر.

وجدير بالملاحظة في هذا السياق أنّ بناء الأفضية الذهنية قد تحقّق بالتفاعل بين عناصر ومعطيات متفاعلة، منها ما هو واقعي مثل (جحا، الدقيق، الحمال، الناس...) ومنها ما هو ذهني متّصل بالمرجعية الثقافية بصفة عامّة مثل (ما يجري في فضاء الشراء أو فضاء الحمل من اتفاقات بين الأطراف أو في فضاء السؤال من عناصر مقامية متصلة بمقام المحاورة..) فهذه العناصر مغيبة في الخطاب ولكنّها حاضرة بالضرورة في ذهن منشئ الخطاب ومتلقّيه.

- **البحث في الترابط بين الأفضية:** ركّز الزناد في تحليله على تجلية الروابط القائمة بين الأفضية الذهنيّة المشكلة للنصّ، فبيّن أنّ الفضاء الأوّل (فضاء الشراء) هو الفضاء الأساس أو الأب، ومنه نشأ فضاء ابن هو فضاء الحمل الذي تحوّل بدوره إلى فضاء أب تفرّع منه فضاء ابن هو

الفضاء الثالث (فضاء الهرب). وتترابط بقية الأفضية بالتسلسل، فينشأ اللاحق من السابق، ويتضمّن عناصر تحقّق انتظامه مع بقية الأفضية.

والحاصل من عمليات التطابق المختلفة التوصّل إلى رسم تعريشة الأفضية الذهنية بطريقة تظهر أشكال التوالد والتعالق بينها[1] وهي عبارة عن شبكة متسلسلة من الأفضية التي يقود بعضها إلى بعض.

- **استخراج قرائن الاهتداء:** في سياق بحثه عن الروابط بين الأفضية تطرّق الزناد إلى النظائر التي تقع بين الأفضية ويتمّ بواسطتها الاهتداء بما أنّها عناصر مشتركة ينسج حولها الخطاب وبواسطتها تتحقّق لحمته، من ذلك مثلا أنّ عنصر "جحا" يحضر في الفضاء الأوّل صريحا ثمّ يأتي ضميرا في الفضاء الثاني، أمّا عنصر "الدقيق" فورد ظاهرا في الفضاء الأوّل ثمّ ضميرا في الثاني، ثمّ عاد إلى الظهور في الفضاء الثالث، ويفسّر الإظهار بعد الإضمار بضمان الانسجام والترابط بين الأفضية نظرا إلى بعد الفضاء الثالث عن الفضاء الأوّل.

إضافة إلى العناصر اللغوية يحدث الاهتداء كذلك بروابط عرفنية، ومن هذا القبيل أنّ التعرّف على الحمّال "بعد أيّام" يعود إلى وجود رابط بين الصورة الحالية والصورة المخزّنة في الذاكرة.

وعند التمعّن في فضاء الخوف وهو الفضاء الأخير فإنّ الاهتداء يتمّ بواسطة نوعين من الروابط: روابط واقعية تتمثل في عناصر مشتركة بين هذا الفضاء وما سبقه وهي (جحا والحمال والدقيق). وروابط ذهنية مستصحبة وفق مبدإ الأطر العرفانية وهي خاصّة (أجرة الحمال)، فهي لم تحضر في الخطاب بشكل صريح إلاّ في الفضاء السادس، ولكنها مستصحبة ومضمنة لأنّها قائمة في الذهن وإن لم تكن معلنة في الخطاب. فالقول الوارد في الخبر (وحمله على حمّال) يقتضي استصحابا أنّ هناك اتفاقا حصل مع الحمّال حول أجرته.

([1]) الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص ٢١٦.

- **نتائج التحليل:** توصّل الزناد بتحليله لهذا النموذج إلى نتيجتين إحداهما تخصّ النصّ والثانية تتعلّق بالمنهج.

- من ناحية النصّ فإنّ تتبّع الأفضية الذهنية والبحث في انتظامها والروابط القائمة بينها يفضي إلى محاولة تفسير السبب الكامن الذي يجعل من خبر جحا والحمّال نصّا هزليا. ويرى الزناد أنّ الأثر الهزلي لا يكمن في عناصر الأفضية الذهنية ولا في بنية الخطاب بل يعود إلى التقابل بين المتوقّع والمنجز القولي الذي تحقّق في تعليل جحا لعمل الاستتار[1]، فقد خالف جحا المتوقّع والمنتظر وما تقتضيه السيرورة الذهنية لتسلسل الأفضية وتحوّل بإرادته من طالب عليه استرجاع حقّه إلى مطلوب عليه أن يدفع أجرة الكراء رغم أنّه خسر ما اشتراه من دقيق. فهذه المفارقة هي التي تولّد الهزل والإضحاك لأنّها تخالف السائد وتقلب المعادلات المنطقية. ويمكن تعميق هذه المفارقة إذا ما قارنا افتراضا بين ثمن الدقيق وأجرة حمله.

- أمّا من ناحية المنهج، فقد أقرّ الزناد في خاتمة عمله بأنّ النصّ بوصفه نموذجا يؤكّد المبادئ التي قامت عليها نظرية الأفضية الذهنية سواء ما تعلّق منها بطرق انبناء الأفضية أو بأشكال انتظامها والعلاقات القائمة بينها. لذلك فإنّه لم يزد في خاتمة التحليل على تكرار هذه المبادئ دونما تعديل أو تحوير.

([1]) الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص٢١٥.

–النموذج الثاني: خبر الأصمعي والرشيد[1]

استمدّ الزناد النموذج الثاني من كتاب "الأذكياء" لابن الجوزي وهو خبر مرويّ عن الأصمعي هذا نصّه:

"حدثنا دريد بن عبد الرحمان ابن أخي الأصمعي عن عمّه قال: بعث إليّ الرشيد فدخلت فإذا صبيّة، فقال: من هذه الصبيّة؟ فقلت: لا أدري. قال: هذه مواسة بنت أمير المؤمنين، فدعوت لها وله، قال: نعم، فقبّل رأسها! فقلت: إن أطعته أدركته الغيرة فقتلني، وإن أنا عصيته قتلني بمعصية. فوضعت كمّي على رأسها وقبّلت كمّي، فقال: واللّه! يا أصمعيّ! لو أخطأتها لقتلتك. أعطوه عشرة آلاف درهم."

- **مستويات التحليل:** ينقسم تحليل الزناد لهذا الخبر إلى أربعة مستويات تبدأ بتحديد الأفضية وبناء التعريشة ثم المزج بين مفاهيم الأفضية والأطر والأدوار، ثم البحث في علاقات الترابط بين الأفضية وتنتهي بدراسة شروط التوافق.

– **المستوى الأوّل: تحديد الأفضية وبناء التعريشة:** ينقسم الخبر إلى مجموعة من الأفضية يتفرع بعضها عن بعض، وتبدأ بفضاء أساس هو فضاء البعث (بعث إلي الرشيد) ثمّ يتفرّع عنه فضاء الدخول ففضاء الصبية ففضاء السؤال الذي يتفرّع عنه فضاء عدم الدراية وفضاء الدعاء وفضاء الأمر بالتقبيل، وهذا الأخير يتفرّع إلى أفضية افتراضية هي فضاء الطاعة وفضاء المعصية وفضاء القتل ثم فضاء وضع الكم الذي يتولّد منه فضاء المكافأة. ويمكن تمثيل هذه الأفضية وتفرعاتها في صورة التعريشة التالية:

([1]) حلّل الزناد هذا النموذج في كتاب "النص والخطاب" ص ص ٢١٢–٢٢٤.

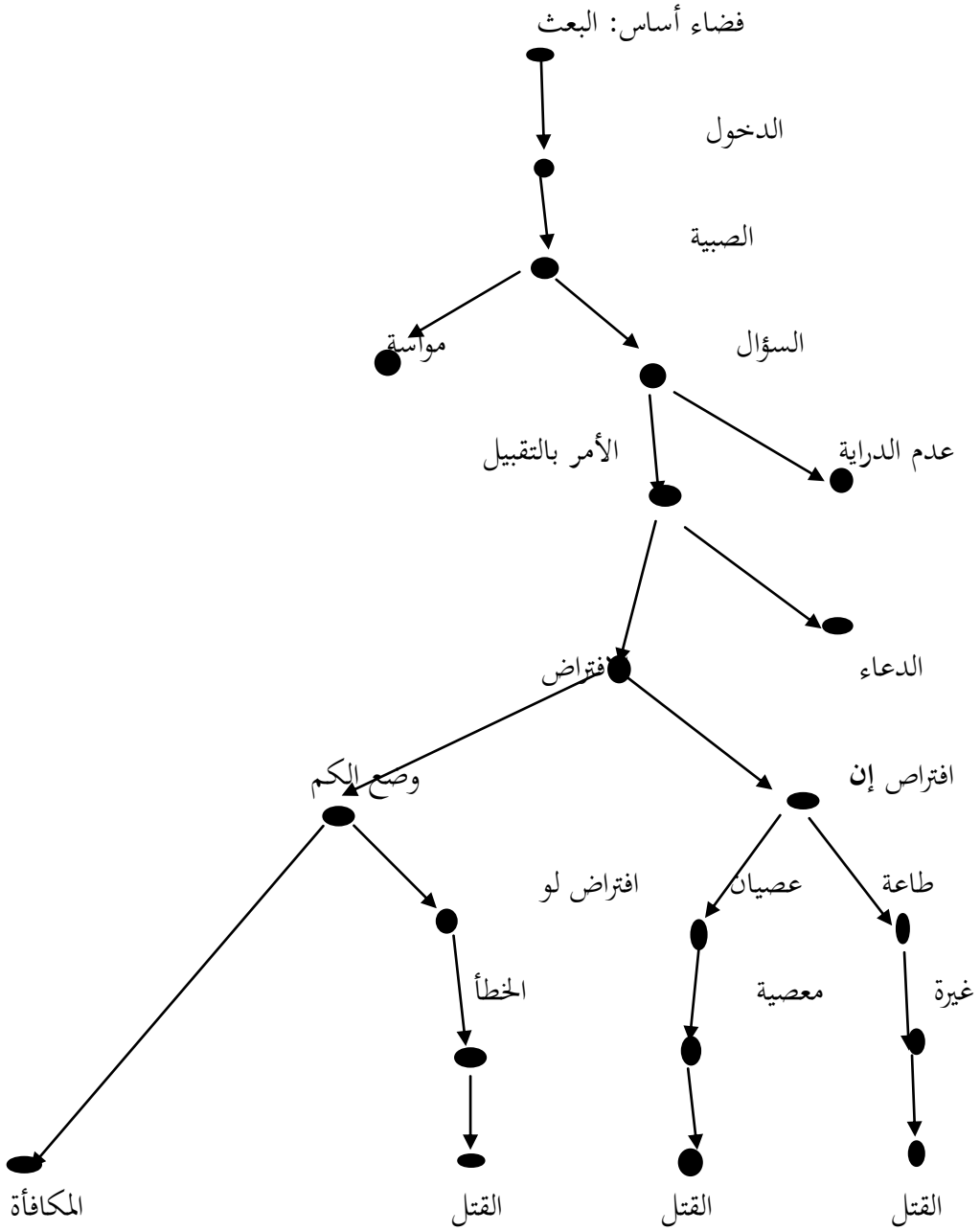

- **المستوى الثاني: الفضاء والإطار والدور:** كلّ فضاء من الأفضية الذهنية في النصّ هو بناء لإطار عرفاني، وداخل كلّ إطار تتحدّد الأدوار والقائمين بها على أساس الإسقاط العرفاني، لأنّ الأطر هي التصوّرات والتمثلات العليا التي تتحكّم في بناء الخطاب وفهمه.

وعلى هذا الأساس توزّعت الأدوار في الخبر على النحو التالي:

- ✓ الرشيد: خليفة وأب وسائل ومجيب وآمر
- ✓ الأصمعي: مجيب ومطيع
- ✓ مواسة: بنت الرشيد
- ✓ الحاضرون: المأمور

وهذا التوزيع للأدوار يدلّ على تحكّم الأطر الذهنية في الخطاب، فالرشيد الخليفة هو الآمر الوحيد (يبعث ويسأل ويأمر ويكافئ) والبقية تشترك في دور الطاعة.

- **المستوى الثالث: تعالق الأفضية:** تكاثرت الأفضية في خبر الأصمعي والرشيد عن طريق التوالد، والعلاقات القائمة بين الأفضية نوعان:
  - ✓ علاقات الترتيب: وهي ناتجة عن التوالد حيث يرتبط الفضاء-الابن وهو اللاحق بالفضاء-الأب السابق تراتبيا، أي أن ثانيهما مترتب على الأوّل.
  - ✓ علاقات الترابط: وتكون بواسطة العناصر المشتركة التي تحقّق عملية الاهتداء، والمثال على ذلك حضور الصبية في الخطاب فقد تدرّج من حضور حسّي غير معين (صبية) إلى حضور حسّي معيّن (هذه الصبية) إلى هوية اجتماعية (مواسة بنت أمير المؤمنين) إلى ضمير متصل يحيل على السابق (دعوت لها). وهذا التطابق في عنصر أو أكثر من عناصر الخطاب هو الذي يحقّق الترابط والانسجام لقيام الإدراك والتواصل.
- **المستوى الرابع: شروط التوافق:** تتّصل شروط التوافق بالعلاقات القائمة بين العالم المتصوّر الذي يفترضه الذهن ونظيره في العالم المحسوس. وتخصّ هذه الشروط ما جاء في نصّ من أفضية

ذهنية مفترضة، منها ما جاء افتراضا بواسطة (إن) على لسان الأصمعي، ومنها ما جاء بـ(لو) على لسان الرشيد.

ومن الملاحظ أن الفضاء المفترض يتجذّر في الواقع بوجود توافق بين عناصره وعناصر الواقع، المثال على ذلك أن الافتراض الذي بناه الأصمعي بعد أن أمره الرشيد بتقبيل مواسة عناصره هي: (إن) وهي مفتاح التمييز بين الواقع والفرضية و(الأصمعي، مواسة، التقبيل، الرشيد، الغيرة، القتل) وهذه العناصر تؤلّف إمكانية مفترضة ولكنّ جميع عناصرها كائنة في الواقع.

- **النتائج**: يلاحظ في هذا النموذج أنّ الزناد طبق مبادئ نظرية الأفضية الذهنية كماهي ودون تحوير أو تعديل، فجميع المستويات التي عالج على أساسها نصّ الخبر هي مقولات أساسية ضمن الجهاز الذي تنبني عليه النظرية. والنصّ بهذا المنظور يصبح وسيلة للاستدلال على صحّة النظرية واتّساق مبادئها. فقد تحقّق فيه على الوجه الأكمل المقدمات النظرية، فقام على مجموعة من الأفضية تؤلف تعريشة تقوم فيها العلاقات بين الأفضية إمّا على أساس الترتيب أو على أساس الترابط وتتحقّق فيها شروط التوافق بين الواقع المحسوس والواقع المفترض.

ولعلّه من البديهيّ أن نتساءل عمّا إذا كانت جميع النصوص مهما تنوّعت واختلفت أجناسها تحقّق مبادئ نظريّة الأفضية على الوجه الأكمل وتجسّد مبادئها؟ وبتعبير أدقّ هل تنبني الأفضية الذهنية وتتعالق في جميع النصوص وفق مبدإ التوالد؟ وهل أنّ انتظامها يكون دائما بما يوجد بينها من علاقات يحكمها الترتيب والتوالد؟ ألا يمكن أن توجد صور أخرى لهذا الانتظام؟

–النموذج الثالث: نصّ من مقدمة ابن خلدون (في العمران البشري)[1]

نصّ ابن خلدون الذي اختاره الزناد نموذجا لمقاربته وفق نظرية الأفضية الذهنية جاء في كتاب "المقدمة" تحت عنوان: "في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات" ويبدأ بقوله: "**الأولى: في أنّ الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطّبع**" وينتهي إلى قوله: **"فلا بدّ من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف."**[2]

أ– دواعي الاختيار

قبل تحليل هذا النموذج أفصح الزناد عن مراده من اختياره، فهو بعد أن عرض نظرية الأفضية وبيّن مبادئها بالاعتماد على النماذج السابقة يتطلّع إلى "مناقشة الأساس الذي قامت عليه النظرية بالاعتماد على نموذج من الخطاب العلمي العربي".[3]

وبهذا يتّضح أنّ اختيار النصّ ليس اعتباطيا بل توجّهه قصديّة مسبقة تتمثّل في أنّ النصّ قد تمّ اختياره لأنّه يصلح أن يكون مدخلا لمناقشة أسس نظرية الأفضية، وبالتحديد مناقشة جانب أساسي من النظريّة هو مسألة انتظام الأفضية. فما هي المقوّمات التي تتوفّر في هذا النصّ ليستند إليها الزناد في تحقيق مبتغاه المتمثّل في تجاوز نقل النظرية وتوظيفها إلى نقدها وتحويرها؟

([1]) اشتغل الزناد على هذا النصّ في كتابه، النصّ والخطاب، ص ٢٢٤–٢٣٣.

([2]) ابن خلدون، المقدمة، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٧٩، ص ٦٩–٧٠.

([3]) الزناد، النصّ والخطاب، ص٢٢٤.

ب–التحليل

انبنى تحليل هذا النموذج على مرحلتين متتاليتين: مرحلة أولى خصّصها الزناد لنقد النظرية والثانية لتقديم بديل جديد.

١–النقد: ينطلق الزناد في نقد النظرية من حقيقة مفادها أنّ انتظام الأفضية في الخطاب يخضع لمبدإ التتابع الخطي الذي تفرضه طبيعة استخدام الكلام، ولكن في مستوى الذهن فإنّ الأفضية لا تخضع لمبدإ الخطية بل تتداخل وتنتظم انتظاما شبكيا.

ويعدّ نصّ ابن خلدون خير شاهد على ذلك، إذ يمكن تغيير مواقع الأفضية دون أن يختلّ نظامه، وقد قدّم الزناد ثلاث إمكانيات مختلفة:

- الأولى: أن يبدأ النصّ من قول ابن خلدون: "خلق الله سبحانه الإنسان وركبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلاّ بالغذاء.." ثمّ تصبح بداية النصّ نهاية له.

- الثانية: أن يبدأ النصّ من وسطه أي من قوله: "قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من الغذاء.." ، ثم يغير الترتيب لينتهي إلى قوله: "أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران."

- الثالثة: أن يبدأ النصّ من أوّله ثم يتمّ التغيير في وسطه بالحديث عن حرفة واحدة من الحرف التي ذكرها ابن خلدون وهي حرفة "الحدّاد" ثمّ ينتهي النصّ إلى نفس النتيجة المتمثلة إلى حاجة الفرد إلى الكثير من أبناء جنسه.

هذه الإمكانيات المختلفة أو غيرها ممّا يمكن أن يرد عليها النصّ دون أن يتغيّر محتواه ودلالته تؤكّد، حسب الزناد، أن الأفضية الذهنية المكونة له لا تنتظم وفق مبدإ الخطية ولا تتكاثر بالتناسل، فليس هناك فضاء-أب وفضاء ابن تابع له ولا يمكن أن يتقدّم عليه.

وبهذا يتبيّن أنّ مبدأ التسلسل الذي تقوم عليه نظرية الأفضية لا يتحقّق في جميع الأحوال ولا تخضع له كلّ النصوص والخطابات ونصّ ابن خلدون يشهد على ذلك، وما يفسّر هذا الخرق للنظرية أن النصوص العلمية النظرية المجرّدة تبني خطابا حجاجيا يمكن أن ينطلق من النتيجة ثمّ يستدلّ عليها بالحجج ويمكن أن يتّخذ مسارا عكسيا أي يبدأ ببناء الحجج ثمّ يصل إلى النتيجة. يقول الزناد: "فضرورة الاجتماع (الإنسان مدنيّ بالطبع) حقيقة عامّة كونية تقبل التشكّل بوجهين متكافئين: صوغ الحقيقة في شكل الفرضية المنطلق وإيراد ما يحقّقها، أو إيراد النماذج أساسا يؤدّي إلى قيام الحقيقة العامّة مفهوما مستقلاّ بذاته ونتيجة استدلالية لتلك النماذج."[1]

فمن الواضح إذن أنّ الأفضية الذهنية في النصّ مرنة وليست متتابعة تتابعا خطيّا، وهو ما يدلّ على أن مبدأ التناسل لا يفسّر طريقة انتظامها. فما هو البديل إذن؟

٢- البديل: حاول الزناد أن يستنبط من نصّ ابن خلدون تصوّرا بديلا يفسّر بواسطته طريقة انتظام الأفضية الذهنية في مثل هذه النصوص التجريدية. وهو يرى أن النصّ، إذا تأمّلناه، وجدناه قائما على مستويين من المضامين: مستوى قاعدي ومستوى المبدأ العام، مترابطين بالحجاج.

المقصود بالمستوى القاعدي جملة المفاهيم البسيطة، كالحداد والحنطة والغذاء والحبّ وغيرها من العناصر المستقل بعضها عن بعض، وهي عناصر أوّلية لتشكيل المعارف والتصورات المختلفة.

([1]) الزناد ،النص والخطاب، ص٢٢٩.

والمبدأ العام هو القاعدة (الإنسان مدني بالطبع) وهي قاعدة نظرية مجردة يمكن الاستدلال عليها وإثباتها بأكثر من طريقة.

وإذا نظرنا في كيفية الترابط بين عناصر المستوى القاعدي أي المفاهيم البسيطة وجدناها تخضع لنوع سمّاه الزناد الترابط القشري (Cortical) وهو مصطلح مستمدّ من عالم النبات ومن صورة الدماغ، ومفاده أن القشرة الواحدة تتكون من مجموعة عناصر تترابط في ما بينها وفي الوقت نفسه مع مجموع عناصر القشر الأخرى.

وللتمثيل على هذا النوع اعتمد الزناد كلمة "الحَبِّ" الواردة في نصّ ابن خلدون. وبيّن أنّ هذه الكلمة تتيح لنا إمكانيات وفرضيات لا متناهية من الارتباط القشري سواء بما يتطلبه الحب من أعمال الفلاحة والزرع أو من حصاد وطحن أو من غذاء وطبخ أو من أوانٍ وأطعمة أو غيرها وكلّ حقل من هذه الحقول له عناصر ترتبط بعنصر الحب من جهة من الجهات.

وعلى هذا الأساس فإنّ هذا النوع من الارتباط بين الأفضية الذهنية يمكن أن نسميه بالارتباط الشبكي وهو لا يقوم على التسلسل والتتابع بل على الموازاة والتزامن. معنى ذلك أن الأفضية الذهنية في نصّ ابن خلدون تنتظم بطريقة شبكية، فكلّ فضاء منها تربطه علاقات تجاور وتقاطع مع أفضية أخرى، وقد استخدم الزناد لتجسيد ذلك تعريشة مختلفة قوامها مجموعة من الدوائر المترابطة التي يستقل كلّ عنصر منها بدائرة ترتبط بدوائر أخرى ويكفي لبيان الكيفية التي تنبني بها هذه التعريشة أن نبرز بعض العناصر منها.

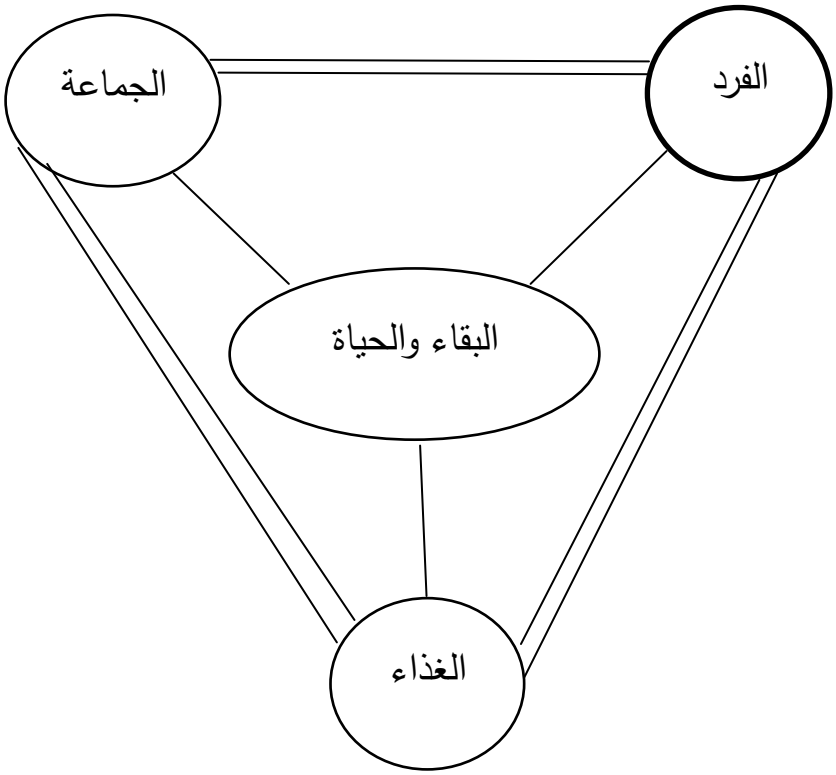

ويبين هذا الشكل المجرّد لترابط جزء من الأفضية الذهنية في نصّ ابن خلدون، ويتّضح أنّ الزناد قد استبدل التعريشة المألوفة القائمة على تسلسل الأفضية بتعريشة مختلفة تبرز تشابك الأفضية.

ج–النتائج

خلص الزناد من تحليله نصّ ابن خلدون إلى أنّ النصوص العلمية التجريدية خاصة لا يخضع فيها ترابط الأفضية لمنطق الأبوّة والتفريخ، فقيامها على مفاهيم متعالية ومجرّدة يجعلها قابلة لصياغات مختلفة تدلّ على أنّ ترابط الأفضية فيها هو ترابط شبكي.

وتأسيسا على النماذج المتقدمة التي درسها الزناد اعتمادا على نظرية الأفضية الذهنية يمكن أن نخلص

إلى نتيجتين متكاملتين:

- النتيجة الأولى أنّ الزناد بيّن انطباق مبادئ النظرية على نماذج من النصوص السردية (خبر جحا والحمال، خبر الأصمعي والرشيد) حيث كشف التحليل على أنّ هذا النوع من النصوص يتكون من أفضية ذهنية تترابط بالتوالد.

- النتيجة الثانية أنّه اكتشف في نصّ ابن خلدون نوعا جديدا من الترابط سمّاه الترابط القشري أو الشبكي وهو من إضافته ولم يسبقه إليه منظرو الأفضية الذهنية وخاصة فوكونياي.

خاتمة القسم التطبيقي

لقد حاولنا في هذا القسم الثاني من أقسام البحث أن نقدّم نماذج تطبيقية من توظيف مبادئ العرفانية في تحليل النصوص اعتمادا على ثلاثة مداخل انتقيناها من كتابي الأزهر الزناد "النصّ والخطاب" و"نظريات لسانية عرفنية"

فأمّا المدخل الأوّل فيخصّ اعتماده مفهوم المعرفة الموسوعية في تحليل "المقامة الحلوانية" وقد لاحظنا فيه كيف استطاع أن يوظّف الجهاز النظري المتّصل بهذا المفهوم لدراسة بؤرة المقامة والتركيز على العبارة المحورية فيها، ولكن ذلك لم يحجب عنّا أنّ تعامله مع النصّ غلب عليه الهاجس اللساني على حساب الدراسة النقدية الأدبية التي تستهدف إبراز جمالية النصّ.

وأمّا المدخل الثاني فمتعلّق بمفهوم الاستعارة المفهومية وبعد شرح هذا المفهوم وتقريبه نظرنا في نموذجين من النصوص التي حاول الزناد أن يطبق عليها هذا المدخل العرفني، وهما "حكاية العصفورة والفخّ" و"أنشودة المطر" ومن أهمّ ما شدّ انتباهنا في هذين النموذجين أنّ الزناد حاول في النصّ الأوّل تقديم نموذج مبسّط للاستعارة المفهومية وفي الثاني دراسة نموذج معقّد، فأتاح له ذلك أن يقدّم مفهومين مختلفين: هما

الاستعارة المفهومية والمنوال الاستعاري. ولكن هذا التنويع لم يبلغ، في نظرنا، المدى المطلوب لأنّ النموذجين اللذين درسهما الزناد يقتصران على نوع واحد من النصوص هي النصوص الرمزية. وهذا ما لا يساعد على الوقوف على خصائص الاستعارة المفهومية في الخطاب المباشر.

أمّا المدخل الثالث فكان مداره على نظرية الأفضية الذهنية التي اعتمدها في دراسة ثلاثة نصوص: نصين متشابهين ينتميان إلى نوع الخبر، "خبر جحا والحمّال" وخبر الأصمعي والرشيد"، ونصّ مختلف عنهما ينتمي إلى نوع النصوص العلمية التجريدية، أخذه من مقدّمة ابن خلدون، وقد كان الزناد في النموذجين الأوّل والثاني وفيّا لمبادئ نظرية الأفضية التي استجابت لها النصوص الخبرية على النحو الأمثل، أمّا في النموذج الثالث فقد ساعده على مناقشة مبدإ الترابط التسلسلي، فالأفضية الذهنية في هذا النصّ لم تخضع لهذا النوع من الترتيب، بل بدت قابلة لمنطق آخر يقوم على التزامن والتوازي، وهو ما مكّن الزناد من إضافة نوع جديد من ترابط الأفضيه سمّاه الترابط القشري.

وعلى وجه الإجمال يمكننا أن نخلص إلى أنّ أهميّة تطبيقات الزناد تكمن في ناحيتين:

- أولاهما تمثّله للمفاهيم النظرية وقدرته على توظيفها في استنطاق النصوص.
- وثانيتهما أنّه لم يكتف بدور التطبيق والاتباع بل حاول أن يسهم في تطوير المفاهيم التي ينطلق منها في ضوء ما يمليه التعامل الإجرائي مع النصوص.

خاتمة

انطلقنا في هذا البحث من التطلّع إلى فهم المقاربة العرفانية للأدب بوصفها إحدى المقاربات الجديدة التي بدأت تفرض لونها، وكانت الأسئلة الأولى التي تولّدت منها إشكالية البحث وتحدّدت وجهته وأهدافه تتعلّق بالبعدين النظري والتطبيقي لهذه النظرية اللسانية وبالعلاقة القائمة بينهما. وبعبارة أخرى كان الهاجس الأساسي الذي وجّه هذا البحث هو محاولة فهم أسس العرفانية ومرتكزاتها النظريّة من ناحية وأدواتها المنهجية وتطبيقاتها من ناحية ثانية.

وانسجاما مع منطلقات البحث وأهدافه قسمناه إلى قسمين متكاملين: أحدهما نظريّ والثاني تطبيقي، كان غرضنا من القسم النظريّ التعريف بالتداولية والعرفانية وتقديم مبادئها العامّة، فتوخينا لذلك تمشيّا تدريجيا حاولنا فيه الانتقال من العامّ إلى الخاصّ، فبدأنا بتنزيل العرفانية في سياقها المعرفي لبيان علاقتها بالمدارس والاتجهات التي سبقتها ومهّدت لظهورها بداية من اللسانيات البنيوية ومرورا بالسيميائية وعلوم الدلالة، ثمّ انتقلنا بعد ذلك إلى التركيز على المصطلحات والمفاهيم فاخترنا منها أكثرها دلالة على التمايز والاختلاف وتعبيرا عن التغيّر والتطوّر، فاخترنا أخصّ مصطلحات اللسانيات البنيوية والتداولية والعرفانية. ولاستكمال عناصر التعريف بالعرفانية خصّصنا الفصل الثالث من القسم الأوّل للبحث في أهمّ مقومات نظرة هذا التيار اللساني للظاهرة الأدبية، فتوقّفنا أوّلا عند التصورات الأساسية المتعلقة بالنصّ الأدبي عند التداوليين والعرفانيين، ثمّ بيّنا بعد ذلك أهمّ المداخل المعتمدة في قراءة النصوص الأدبية.

ويمكن بالاعتماد على ما جاء في القسم النظري من أقسام البحث التوصّل إلى أنّ أهميّة العرفانية بوصفها تيارا لسانيا جديدا تكمن في النواحي التالية:

- تجاوزت العرفانية حدود اللسانيات البنيوية التي تعاملت مع اللغة تعاملا شكليا مغلقا، وحاولت تناول الظاهرة اللغوية في كلّيتها وفي علاقتها بمختلف الأنظمة المتفاعلة معها.
- اهتمّت العرفانية بالمكوّن الدلالي الذي يعدّ من أهمّ مكوّنات اللغة ومن أكثرها صعوبة واستعصاء نظرا إلى ما يتّسم به من خصوصية واختلاف وتنوّع ممّا يجعله عسير التناول.
- استحضر التيار العرفاني العناصر المقامية المستبعدة من مجال الدرس اللساني، فاهتمّ بالسياق وبأطراف التخاطب، وحاول أن يفسّر العمليات المتحكّمة في إنتاج الخطاب وتلقّيه.
- اقتحم التيار العرفاني مجال الخطاب الأدبي اعتمادا على ما وفّره من مفاهيم وتصوّرات بدت قابلة لتفسير النصوص الأدبية وإظهار العناصر المتحكّمة في إنشائها وتأويلها.

وإذا كان في هذه النتائج العامّة ما يمكن أن يحقّق بعض الإجابة عن الشقّ الأوّل من التساؤل الذي انطلق منه البحث حول الأسس النظرية وأوجه الإضافة في المقاربة العرفانية فإنّ محاولة الإجابة عن الشقّ الثاني المتعلّق بالجانب الإجرائي وبكيفية مقاربة النصوص الأدبية من منظور تداولي عرفاني سعينا إليها في القسم الثاني، وهو قسم تطبيقيّ خصّصناه لدراسة نماذج اخترناها من كتب الأزهر الزناد، وتوزّعت على ثلاثة محاور تناولنا كلّ محور منها في فصل مستقلّ.

خصّصنا الفصل الأوّل لمفهوم المعرفة الموسوعية مطبّقا على "المقامة الحلوانية"، وحدّدنا فيه هذا المفهوم، وبيّنا الإجراءات المنهجية التي اتّبعها الزناد في إجرائه على نصّ المقامة، وما توصّل إليه من نتائج تدلّ على البعد الإجرائي لمفهوم المعرفة الموسوعية، ولكنها تدلّ أيضا على أنّ هذا المفهوم وإن كان يكشف بؤرة النصّ الدلالية فإنّه لا يوصل إلى مكن "الأدبية" فيه.

وتناولنا في الفصل الثاني مدخل الاستعارة المفهومية مطبّقا على نصّين أحدهما نثريّ قديم هو نصّ "العصفورة والفخّ"، والثاني شعريّ حديث هو "أنشودة المطر" لبدر شاكر السياب، وقد بيّنا من خلال

هذين النموذجين أنّ الزناد توصّل إلى التمييز بين الاستعارة المفهومية البسيطة كما تجلّت في النصّ الأوّل والمنوال الاستعاري المعقّد على النحو الذي برز في نصّ أنشودة المطر، وقدّم منوالا تحليليا يقوم على التمييز بين المجال المصدر والمجال الهدف، لكنّه اقتصر في النماذج التي اختارها على نماذج من الأدب الرمزي، ولم يقدّم أمثلة من الخطاب المباشر الذي يدلّ على أنّ الاستعارة المفهومية هي قالب من قوالب التفكير يجري في جميع أنواع المخاطبات.

أمّا الفصل الثالث والأخير فقد عقدناه للنظر في مفهوم الأفضية الذهنية، وتتبّعنا تطبيق هذا المفهوم على ثلاثة نصوص اختارها الزناد هي: "خبر جحا والحمّال" وخبر الأصمعي والرشيد"، ونصّ مأخوذ من مقدمة ابن خلدون، ونظرا إلى ما يوجد من اختلاف بين هذه النصوص فإنّ الزناد حاول تطوير نظرية الأفضية بإظهار حدود الترابط التسلسلي القائم على توالد الأفضية واقتراح نوع آخر من الترابط سمّاه "الترابط القشري"، وهو صالح لتفسير النصوص العلمية التجريدية التي تتسم بطابع التعميم والتي لا يمكن أن تكون العلاقات بين أفضيتها الذهنية قائمة على التوالد مثلما هو الشأن في النصوص الخبرية.

وبناء على ما توصّلنا إليه في فصول القسم التطبيقي يمكن أن نصل إلى بعض النتائج المتعلّقة بتطبيقات العرفانية في مجال الدراسات الأدبية على وجه العموم وتطبيقها عند الزناد بصفة خاصّة:

- ترمي العرفانية إلى ردم الفجوة بين لغة الأدب ولغة التواصل، ففي كلّ منهما نصيب من الآخر، وبالتالي فإنّ أدوات التحليل التي تعتمد لدراسة اللغة العادية تصلح كذلك لدراسة اللغة الأدبية، ومقولات الاستعارة المفهومية والأفضية الذهنية والمعرفة الموسوعية والإطار وغيرها هي مقولات عامة تتوفّر في النشاط اللغوي مهما كان نوعه.
- يبيّن التحليل التداولي العرفاني للنصوص أنّ مسألة الدلالة في النصّ الأدبي لا يمكن مقاربتها بمعزل عن السياق الذي أنتج فيه النصّ وبعيدا عن أطراف الخطاب المتفاعلة، فالمعنى مرتبط

ارتباطا وثيقا بالقصدية التي تثوي وراء الخطاب ويتحكّم فيها عن قصد أو عن غير قصد كلّ من الباثّ والمتلقّي وسياق النصّ ومقام التخاطب.

- يبدو الأزهر الزناد في تطبيقاته متمثلا للمفاهيم العرفانية وقادرا على توظيفها في استنطاق نصوص متنوّعة، قديمة وحديثة، وشعرية ونثريّة، وأدبية وغير أدبية. والنصوص بالنسبة إليه هي عينات لاختبار المفاهيم وبيان مدى قابليتها للتطبيق ولاستيعاب مظاهر التنوّع في النصوص الأدبيّة التي يمكن أن تدلّ على اكتمال المفهوم أو تدعو إلى تحويره وتطويره.
- انشغل الزناد في تطبيقاته المختلفة بالجوانب اللسانية في تحليل الخطاب، وكان جلّ اهتمامه منصبا على البحث في قضايا الدلالة، ولئن مكّنه ذلك من إظهار قابلية المقولات العرفانية للتطبيق في مجال الدراسة فإنّه لم يتمكّن من تحسّس المظاهر الجمالية في النصوص التي اتخذها نماذج لتحليلاته، وصرف جلّ جهده في بناء المناويل التحليلية وتوظيفها، فكأنّ النصوص الأدبية عنده لا تدرس لذاتها وإنّما هي عينات للبحث اللساني.

وإذا أجملنا ما أوصلنا إليه البحث في المستويين النظريّ والتطبيقي تبيّن لنا على وجه التعميم أن العرفانية، شأنها شأن بقيّة الاتجاهات النقديّة، قد مدّت الدراسات الأدبية بأدوات ومناهج تساعد على تجديد قراءة الأدب، وتتيح للدارس النظر إلى النصوص من زوايا جديدة تسمح باستكشاف جوانب لم تكن مألوفة. ولكنّ ذلك كلّه لا يحجب عنّا أمرا مهمّا يتمثّل في أنّ المناويل التحليلية التي تقدّمها اللسانيات لدراسة الأدب وتحليله تبدو، في الغالب الأعمّ، أقرب إلى خدمة اللسانيات منها إلى خدمة الأدب. ويعود ذلك، في اعتقادنا، إلى أنّ الهاجس المهيمن في تعامل اللساني مع اللغة هو بالأساس أبعادها التواصلية وليست أبعادها الجمالية.

وانطلاقا من هذه الملاحظة فإنّ الاقتراحات التي يقودنا إليها البحث في النهاية يمكن أن تتلخّص في مقترحين أساسيين:

- أوّلهما: تحتاج الدراسات النقدية إلى الانفتاح على العلوم اللسانية واستثمار مكتسباتها النظرية لمزيد تعميق نظرتنا للأدب وإيجاد المناويل المنهجية الملائمة لدراسة النصوص الأدبية وتحليلها.
- ثانيهما: ضرورة تطويع الآليات والمناهج اللسانية في مجال الدراسات الأدبية، وذلك بمراعاة خصوصيات لغة الأدب بوصفها تختلف في طبيعتها ووظائفها عن لغة التواصل.

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر**

–الزناد، الأزهر، نسيج النصّ، بحث في ما به يكون الملفوظ نصّا، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣.

–الزناد، الأزهر، النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفنية، تون: مركز النشر الجامعي/ دار محمد علي للنشر، ٢٠١١.

– الزناد، الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، تونس، دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠.

- **المراجع العربية والمترجمة**

– أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.

– ابن غربية، عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، تونس: مسكلياني للنشر والتوزيع، ط١/ ٢٠١٠.

–ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

–ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٧٩.

–ابن منظور، أحمد بن مكرم المصري، لسان العرب، بيروت: دار صادر، د.ت.

–أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

–أريفيه، ميشال، البحث عن فردينان دو سوسير، ترجمة: محمد خير محمود البقاعي، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط.١، ٢٠٠٩.

–الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت، الطبعة: الأولى –١٤١٢ هـ.

– أوكان، عمر، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء وبيروت، ٢٠١١م.

– إيكو، إمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

– باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة: د.أحمد مختار عمر، الطبعة الثامنة عالم الكتب، القاهرة ، ١٩٩٨م.

– براون، ج.ب.، وج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير البعلبكي، منشورات النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ –١٩٩٤م.

– بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى قوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية– سورية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

–بلخير، عمر، نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، من ٥ إلى ٧ فبراير، ٢٠٠٧م.

– البوعمراني، محمد الصالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، صفاقس: مكتبة علاء الدين، ط١/ ٢٠٠٩.

–بومنقاش، الرحموني، البناء التداولي للممارسة التفسيرية قراءة في إمكانات التحقق، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، تصدر عن مركز جيل البحث العلمي بالجزائر، العام الثاني، العدد٥، فبراير ٢٠١٥م.

– تشاندلر، دانيال، أسس السيميائية: ترجمة: طلال وهبة، مراجعة: ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

– توسان، برنار، ما هي السيميولوجيا؟ ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

–تومي، غنية، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، بحث منشور في مجلة المِخبَر .. أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر، العدد السادس.

– جادامير، هانز جورج، الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم، راجعه عن الألمانية: جورج كتورة، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس – ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

– جاكندوف، راي، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة: عبد الرازق بنور، مراجعة: مختار كريم، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

– الحباشة، صابر، التداولية والخطاب مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

– حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

–حجيج، معمر، التداولية بين اللسانيات والدراسات الأدبية، الأثر مجلة الآداب واللغات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد٢، مايو ٢٠٠٣م.

–الحرّاصي، عبد الله، دراسات في الاستعارة المفهومية، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، ٢٠٠٢.

–حسام الدين، كريم زكي، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

–حسان، تمام، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب "النحو – فقه اللغة –علم اللغة، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

–مناهج البحث في اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د–ت.

–الحسن، شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبرجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.

–حكيمة، حبي، السياق التداولي في "كليلة ودمنة" لابن المقفع، مذكرة لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة مولود معمري بتيزي وزو بالجزائر، د–ت.

–الحلواني، عامر، المنوال المنهاجي والرهان العرفاني، الاستعارة التصورية في أشعار الهذليين أنموذجا، صفاقس، التسفير الفن، ٢٠٠٩.

– حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، شبكة الألوكا، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

–حمدي، أحمد عدنان، التداولية الأدبية دراسة نقدية، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

– الحميري نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح. حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.

–الحياني، محمود خليف، قصيدة النثر مقولة تداولية في مشروع الجماعة المفسرة، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

– خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

– الخليفة، هشام إبراهيم عبد الله، الاستدلال على المغزى المقصود من الفعل الكلامي غير المباشر بين الفعليات الحديثة والتراث اللغوي العربي، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

–خليل، عاطف فضل، البنية اللغوية والنحوية وجدلية التأويل مثل من الأساليب النحوية منهج وتطبيق في تيسير الإعراب، بحث منشور في مجلة جامعة الأقصى، العدد الخاص ببحوث المؤتمر العلمي الأول (النص بين التحليل والتأويل والتلقي)، الجزء الأول، جمادى الأول ١٤٢٧هـ –يونيو ٢٠٠٦م.

–عمر بن دحمان،بعض مشاريع البلاغة المعرفية"مارك تورنر"نموذجا،العدد٢١،جامعة مولود معمري،تيزي وزو،الجزائر.

–دفة، بلقاسم، علم السيمياء والعنوان في النص الادبي، محاضرات المتلقي الوطني الاول، السيمياء والنص الادبي، جامعة محمد خضير، بسكرة، ٢٠٠٠.

– دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د.ت.

– دلال، وشن، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير ببسكره بالجزائر، العدد السادس، يناير ٢٠١٠م.

–دوراتني، أسندرو، الأنثروبولوجيا الألسنية، ترجمة: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

–دي سوسير، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بغداد: آفاق عربية، ١٩٨٥.

–ديبوجراند روبرت، وولفجانج دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات نظرية، ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.٢، ١٩٩٩م.

–ديك، فان، كتاب النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.

–الذهبي، جبار سويس، النص والتواصل ملامح من تداولية الخطاب، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

–الرقبي، رضوان، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر وديسمبر ٢٠١١.

–روبول، آن وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: د.سيف الدين دغفوس ود.محمد الشيباني، مراجعة: د.لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.

– الرويلي، ميجان، وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء. ط.٣/ ٢٠٠.

–سالم، باشوفا، وتزفيتو ميرا، دور لسانيات النص في تطوير مناهج تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية لغير الناطقين بها – دمشق – سوريا ٨–١٠ / ٤ / ١٤٢٥هـ الموافق ٢٦–٢٨ / ٥ / ٢٠٠٤م.

–سامي عياد حنا وكريم زكي حسام الدين ونجيب جرجس، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان.

–ستروسن، الدلالة وقيمة الصدق، بحث منشور ضمن كتاب المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني، الناشر: أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٠م.

–السرغيني، محمد، محاضرات في السيميولوجيا، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٧.

–سعدالله، محمد سالم، النقد التداولي من الحدث اللغوي إلى التواصل التقني، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

–سيرفون، جان، الملفوظية، ترجمة: د. قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.

–سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، الناشرون: منشورات الاختلاف بالجزائر، والمركز الثقافي العربي ببيروت، والدار العربية للعلوم ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

–الشريف، محمد صلاح الدين، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى، بحث منشور في مجلة حوليات الجامعة التونسية، تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس، العدد السابع عشر، ١٩٧٩م.

– الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي – ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

–صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

–الصراف، علي محمود حجي، في البراجماتية.. الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣١هـ –٢٠١٠م.

– صولة، عبد الله، نظرية في الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

– الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠ م.

– الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

– طه، فرج عبد القادر وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت.

– عاشور، محمد الطاهر، أصول الإنشاء والخطابة، تحقيق: ياسر بن محامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

– عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة: دار الخانجي، ط.٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

–العزاوي، أبو بكر، الحجاج والمعنى الحجاجي، بحث منشور في كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ١٣٤.

–عزوز، أحمد، المدارس اللسانية: أعلامها–مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار آل الرضوان، وهران، ط:٢، ٢٠٠٨ .

– علي، محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤.

–عمايرة، خليل أحمد، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

– عمر، أحمد مختار، أسس علم اللغة، القاهرة: عالم الكتب، ط.٨، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

–العمري، محمد، تداخل الحجاج والتخييل، بحث منشور في كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ١٣٤.

–عويضة، جميل، الأنماط اللغوية مفهومها وأهدافها وأساليب تدريسها، دائرة التربية والتعليم بالأنروا /اليونسكو، ٢٠٠١م.

–العياشي، منذر، اللسانيات والدلالة الكلمة، مركز الإنماء الحضاري للمراسلة والترجمة والنشر، حلب، ١٩٩٦م.

–عيسى، فوزي ورانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط.١، ٢٠١١م.

– فتوح، محمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.

–فرنسواز، أرمينيكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علّوش، المغرب: مركز الإنماء القومي، د–ت.

– فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، العدد ١٦٤، أغسطس ١٩٩١م.

– فولفجانج، هانيه، منه وديتر فيهيفجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨ / ١٤١٩هـ.

–قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دمشق: دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م.

– قدور، محمد أحمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م.

– قريرة، توفيق، الشعرية العرفانية، مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعرية قديمة وحديثة، القيروان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٥.

– القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

–كادة، ليلى، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي نموذجا، رسالة دكتوراه بقسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، بتانة–الجزائر، ٢٠١٢م.

– كريدية، هيام، أضواء على الألسنية، بيروت: المؤلفة، ط.١، ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م.

–لا يكوف، جورج، ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد الحميد جحفة، دار توبقال للنشر، ط٢. ٢٠٠٩.

– لحلوحي، فهيمة، علم النص تحريات في دلالة النص وتداولهم، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكره، الجزائر، العددان العاشر والحادي عشر، ٢٠١٢م، ص٢٢٢.

– لحمادي، فطومة، السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير ببسكره بالجزائر، العددان الثاني والثالث، ٢٠٠٨.

– لهويمل، باديس، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، تصدر عن جامعة محمد خضير، بسكره – الجزائر، العدد السابع، ٢٠١١.

– لويس، م.م.، اللغة في المجتمع، ترجمة: د.تمام حسان ود.إبراهيم أنيس، دار إحياء الكتب العربي عيسى البابي الحلبي وشركاته، القاهرة، ١٩٥٩م.

– ليونز، جون، اللغة وعلم اللغة، ترجمة: مصطفى زكي حسن التوني، القاهرة: دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

–مانجونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٨م.

– المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

–المبخوت، شكري، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس١، كلية الآداب منوبة. تونس: المطبعة الرسمية، د–ت.

– المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، الدار العربية للعلوم ناشرون ببيروت، ومنشورات الاختلاف بالجزائر، ودار رامان بالرباط – المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

– محسب، محيي الدين، الإدراكيات أبعاد ابستمولوجية وجهات تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ –٢٠١٧م.

– محمود، حسن الاستاذ، استراتيجية مقترحة في تنمية تجليات ابداعية وفضاءات دلالية، فلسطين، جامعة الاقصى، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، ٢٠٠٧.

–مدور، محمد، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، رسالة دكتوراه بقسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة–الجزائر، السنة الجامعية ١٤٣٤–١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣–٢٠١٤م.

–مرتاض، عبد الملك، نظرية النص الأدبي، منشورات دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٧.

–التحليل السيميائي للخطاب الشعري، الجزائر دار الكتاب العربي، ٢٠٠١.

–المرتجى، أنور، سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١ ١٩٨٧م.

–المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ١٩٨٦.

– الأسلوب والأسلوبية ، تونس :الدار العربية للكتاب، ط٣ . د.ت

–مصطفى، هيثم محمد، القصدية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل بالعراق، المجلد١١، العدد٣، ٢٠١٢.

– معلوف، سمير، الصورة الذهنية (دراسة في تصوُّر المعنى)، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الأول، ٢٠١٠.

– مهنا، عبد الأمير علي، طرائف من التراث العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت ط١، ١٩٩٠.

– موريس، تشارلز، رواد الفلسفة البرجماتية، ترجمة: د. ابراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية–مصر، ٢٠١١م.

–موشلار، جاك، وآن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الباحثين من الجامعات التونسية، بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

– الميساوي، خليفة، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

– النجار، نادية رمضان، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، بحث منشور الكتاب الدوري علوم اللغة الصادر عن دار غريب بالقاهرة، المجلد التاسع، عدد٢، ٢٠٠٦م.

– نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢م.

–الهمذاني، بديع الزمان، المقامات، تحقيق وشرح محمد عبده، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.

–هوكس، ترنس، مدخل إلى السيمياء، ترجمة: مصطفى كمال، مجلة بيت الحكمة، المغرب، العدد ٥، السنة الثانية، سنة ١٩٨٧م.

–وتزيفان، أزولد، الدلالة والمرجع دراسة معجمية، ضمن كتاب: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة وتعليق: عبد القادر قنيبي، أفريقيا الشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

–وغليسي، يوسف، البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية بحث في النسبة اللغوية والإصلاح النقدي، مجلة الدراسات اللغوية، مجلة علمية لغوية متخصصة ومحكمة، تصدر عن مختبر الدراسات اللغوية بجامعة منتوري بقسنطينة بالجزائر، العدد٦، ١٤٣١هـ –٢٠١٠م.

– وفي، علي عبدالواحد، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٤م.

– الولي، محمد، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر وديسمبر ٢٠١١.

–وهبة، مجدي وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

– ياقوت، محمود سليمان، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٥.

– يعمران، نعيمة، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، بحث ماجستير بقسم الأدب العربي بكلية اللغات والآداب بجامعة مولود معمري بالجزائر.

- **المراجع الأجنبية**

- Fauconnier, G. & E. Sweetser. 1996. *Spaces, Worlds, and Grammar*. Chicago: University of Chicago Press.
- Fauconnier, G. 1994. *Mental Spaces*. New York: Cambridge University Press. [Originally published (1985) Cambridge: MIT Press.]
- kövecses, Zoltán, Metaphor, a Practical Introduction. Second Edition. Oxford University Press, 2010.
- Lakoff, George, More Than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor (with University of Chicago Press, 1989)
- Stevens, Wallace, Death is the Mother of Beauty: Mind, Metaphor, Criticism (University of Chicago Press, 1987)

قائمة المصطلحات

المصطلح الأجنبي	المقابل العربي
Anthropology	١. انثروبولوجيا
Arbitrary	٢. اعتباطية
Cognitive Linguistics	٣. اللسانيات العرفانية
Cognitive method	٤. المنهج العرفاني
Conceptyal representation	٥. المجال التصوري
Corcical	٦. الترابط القشري
Deconstruction	٧. التفكيكية
Deixis	٨. الإشادة
Discourse Analysis	٩. تحليل الخطاب
Elements (of aspects of domains)	١٠. عناصر (مظاهر المجالات)
Embodiment	١١. التجسيد
Entailments, metaphorical	١٢. الاقتضاء الاستعاري
Epistemic grounding	١٣. التجذر الابستيمي
Feed – back	١٤. الفعل الراجع
Forms	١٥. الصيغ
Grammatical structures	١٦. التراكيب النحوية
Interconnectedness	١٧. الترابطية البينية
Linguistics	١٨. علم اللغة
Macrosemantics	١٩. علم الدلالة الموسع
Mental Space	٢٠. الفضاء الذهني
Metaphorical Entailment potential	٢١. الاقتضاء الاستعاري المحتمل
Microsemantics	٢٢. علم الدلالة المصغر
Performative	٢٣. إنشائي
Phonology	٢٤. فونولوجيا

Pragmatics	٢٥. التداولية
Semiology	٢٦. سيميولوجيا
Semiotics	٢٧. السيميائية
Signification	٢٨. دلالة
Signified	٢٩. مدلول
Signifier	٣٠. دال
Source domain	٣١. المجال المصدر
Space puilders	٣٢. بناة الأقضية
theory act Speach	٣٣. نظرية الفعل الكلامي
Spreading	٣٤. النشر
Structuralism	٣٥. البنيوية
Symbole	٣٦. الرمز
Target domain	٣٧. المجال الهدف
Windowing	٣٨. الوندوة

فهرس المحتوى

مقدمة.....١

القسم النظري: العرفانية بين اللسانيات والأدب.....١٢

تمهيد.....١٣

الفصل الأول: من اللسانيات البنيوية إلى اللسانيات العرفانية.....١٥

١- اللسانيات.....١٨

٢- علم الدلالة.....٢٢

٣- السيميائية.....٢٥

٤- التداولية.....٣٢

٥- العرفانية.....٣٧

خلاصة.....٣٩

الفصل الثاني: المصطلحات والمفاهيم.....٤٠

تمهيد.....٤١

أ- مصطلحات لسانية.....٤٢

١- النظام.....٤٢

٢- البنية والشكل.....٤٣

ب- مصطلحات تداولية.....٤٥

١- المقام ٤٥

٢- المتكلم.....٤٩

٣- السامع.....٥٠

ج-مصطلحات عرفانية.....٥٢

١- المفهمة.....٥٢

٢- التصوّر.....٥٣

٣- الإطار.....٥٤

خلاصة.....٥٥

الفصل الثالث: أسس المقاربة العرفانية للنص الأدبي.....٥٦

تمهيد.....٥٧

أ- التصورات العرفانية حول الأدب.....٥٨

١- من الجملة إلى النصّ ٥٨

٢- أهميّة البعد التواصلي في النصّ الأدبي.....٥٩

٣- الظاهرة التخاطبية في النص الأدبي.....٦١

٤- الأفعال الكلامية في النص الأدبي.....٦٣

٥- المقصدية في النص الأدبي.....٦٤

٦- الاستلزام الحواري وآليات إنتاج المعنى.....٦٦

٧- البعد الحجاجي الإقناعي في النص الأدبي.....٦٧

ب- مداخل المقاربة التداولية والعرفانية للخطاب الأدبي.....٧٢

١- السياق.....٧٣

٢- الوظيفة التواصلية.....٧٦

٣- القصدية.....٧٨

٤- التأويل.....٨٢

٥- الدلالة.....٨٤

خاتمة القسم النظري.....٨٧

القسم التطبيقي: تطبيقات الزناد للمقولات "العرفانية" في دراسة النصوص الأدبية.....٩٠

تمهيد.....٩١

الفصل الأوّل: المعرفة الموسوعية في النصّ: المقامة الحلوانية نموذجا.....٩٥

١- التأسيس النظري: مفهوم "المعرفة الموسوعية.....٩٧

٢- التناول الإجرائي: "المعرفة الموسوعية" في "المقامة الحلوانية".....١٠١

الفصل الثاني: الاستعارة المفهومية مدخلا للقراءة العرفانية.....١١٣

١ -الاستعارة المفهومية: الماهية والمبادئ.....١١٤

٢ -الجهاز المصطلحي.....١١٦

٣ -من النظرية إلى التطبيق.....١١٨

-النموذج الأوّل: حكاية العصفورة والفخّ.....١١٩

-النموذج الثاني: أنشودة المطر لبدر شاكر السياب.....١٢٥

الفصل الثالث: نظرية الأفضية الذهنية وتطبيقاتها.....١٣٢

١- أسس نظرية الأفضية الذهنية.....١٣٣

٢- تطبيقات نظرية الأفضية.....١٣٧

- النموذج الأوّل: "خبر جحا والحمّال".....١٣٧

- النموذج الثاني: خبر الأصمعي والرشيد.....١٤١

- النموذج الثالث: نصّ من مقدمة ابن خلدون (في العمران البشري).....١٤٥

خاتمة القسم التطبيقي.....١٥٠

خاتمة.....١٥٢

قائمة المصادر والمراجع.....١٥٧

قائمة المصطلحات.....١٦٥

فهرس المحتوى.....١٦٧